ابن غير شرعي

ابن غير شرعي
رواية
خالد الشيباني
الحسناء للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى : ٢٠١٨
ISBN 978 -977-6535-65-7
رقم الإيداع : ١٧٢١٩ / ٢٠١٨
ديوى : ٨١٣
١٠٤ ص ، ٢٠ سم

{ جميع الحقوق محفوظة © }

ج. م. ع
٠١٥٥٣١٢٩٣٦٣
٠٣/ ٥٩٣٠٥٦٧
المدير العام : عادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : عادل أبو الأنوار
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

تركة العم حسان

ملحمة روائية

الرواية الثانية

ابن غير شرعي

خالد الشيباني

حسناء للنشر

بعـد أن هزمنـاهم عصـورًا
بأخوتنـا قـرروا أن يغرسـوا
الفرقـة بيننـا واليـوم يرانـا
العـــالم نشـــتعل وســـط
أشـواك وأدغـال الضـغائن
فقـد أصـبحت تركـة الـدم
أغلـى مـــن الـــدم نفســـه

.

خالد الشيباني

قد تخدع عيناكَ عقلك

ولكن قلبك يظلّ مليئاً بالريبة

تجاه ألاعيب الساحر.

الفصل الأول

أبواب الحرية

كان الدخان مازال منبعثًا من البيارة رغم مضي النهار واقتراب الغروب ورغم الأمطار التي هطلت لعدة مرات، وكأنه صرخات الأبرياء الذين أكلت أجسادهم النيران.

تقترب سيارة من بوابة العزبة الحديدية، يجلس خلف عجلة قيادتها منير طبيب عادل وصديقه المقرب وقريبه البعيد والوحيد الذي رفض أن يدرج في الوصية.

كانت أسبابه تعبر عن شخصيته، فهو لا يستطيع ترك مرضاه بدون رعاية لحساسية تخصصه كجراح للمخ والأعصاب، كما أن الرفاهية التي يعيش فيها والمركز المرموق في المجتمع جعلا عيناه لا تبرقان أمام ملايين التركة كبقية الورثة.

اندهش منير عندما توقف طويلاً بسيارته أمام بوابة العزبة مطلقًا بوقها عندما لم يطل مسعود بابتسامته البريئة كالمعتاد، فما كان منه إلا أن هبط ليتفقد البوابة ليجدها مفتوحة بلا أقفال، فقام بفتحها ودخل بسيارته ليتفقد العزبة الخالية من البشر ومن أي أثر للحياة، واسترعى انتباهه الدخان المتصاعد من البيارة فهبط من السيارة وسار نحوها وكان لنظرته داخل البئر وقع الصاعقة عليه عندما رأى جثة وفية التي لم تحترق

بعد أن أطفأت الأمطار نيران البيارة فظلت ملقاة فوق كومة من الجثث المحترقة التي تتصاعد منها الأدخنة صاحبة رائحة الشواء لتشكل لوحة مرعبة تعبر عن الجريمة التي اقترفتها يداها.

ظل منير ينظر للمكان حوله محاولاً سؤاله عما حدث ولكن دون طائل، و سرعان ما غمرت أضواء سيارات الشرطة وخطوات رجال المباحث والبحث الجنائي المكان، ووسط ظلمة الليل ظل منير يسترجع حواره مع عادل حول الوصية والخطة التي أعدها عادل واتفقا على تنفيذها،

فقد كانا في سريرين متجاورين بالمستشفى عقب نجاتهما من محاولة الاغتيال، وقررت الجهات الأمنية نقل عادل لمكان آخر وإعلان وفاته لحمايته، وفي سيارة الإسعاف كان عادل غارقًا في أفكاره، وفور وصوله للعزبة مع عادل تحت ستار الليل ليرقد في حجرة العناية المركزة التي أعدتها الجهات الأمنية على أعلى مستوى وفي سرعة وسرية متناهيتين، كان كل ما يشغل بال عادل هي الخطة التي تجعل ورثته يتقاربون ويحسون بمعنى صلة الدم، فربما هي الفرصة الأخيرة التي يعلم فيها العم أي شيء لأبناء أشقائه.

واتفقا بعد جدال طويل على أن يقوم الطبيب بتخدير عادل باستخدام العقاقير ليرقد في إغفاءة طويلة وتجبر وصيته الورثة على البقاء داخل أسوار العزبة حتى يرحل عن العالم ظنًا منه أن هذا سيقوي الروابط الأسرية بينهم حينما يعيشون بمكان واحد، وبعد

فترة قصيرة ينهي الطبيب غفوته الصناعية بعد أن يكونوا تقاربوا، ولكنّ الطبيب رفض الخطة بهذا الشكل، فالجفوة بين إخوته وأبنائهم وبينه كانت طويلة وباردة كجبل الثلج، ولن يكون من الطبيعي أن يجعلهم ورثته دون سواهم، وهنا برزت فكرة وضع مستحقين آخرين بالوصية ممن قاموا بخدمة عادل ونالوا قدرًا من الحب في نفسه.

ولكنّ الرياح جاءت لتغرق جميع السفن، فالطمع الذي اتقد في نفس وفية الممرضة التي رأت جحود أبناء الإخوة لعمهم وعدم استحقاقهم للميراث جعلها تخطط لأن تكون الوريثة الوحيدة وتقتل الجميع بدماء باردة وأصابع حديدية.

مبررة لنفسها أن تلك الثروة هى تعويض الحياة لها عن المعاناة والمآسي التي عاشتها في عمرها المنقضي.

ولكن كم هى عجيبة أسباب الحياة! لقد فوجيء رجال البحث الجنائي بجسد ياسر في فجوة عميقة بجدار البيارة ترتفع لأقل من متر عن مستوى الرماد مستترا خلف صخرة بداخلها؛ تلك الفجوة التي استطاع النجاة من النيران فيها؛ لقد بدأت وفية بإلقاء جثة المحامي الممتليء لكي لا تكون مشكلة لها بعد أن تخور قواها إن تركتها للنهاية؛ ذلك الجسم الممتليء شكل لجسد ياسر ما يشبه مضاد الصدمات؛ وكان لارتطام صدره بجسد المحامي محفزاً لقلبه ليعود للعمل وكأنه تلقى صدمة كهربائية فعاد قلبه للنبض وشهق مدخلا الهواء إلى رئتيه ليفاجأ أنه في قلب البيارة والآلام تطحن جسده بلا رحمة وما هو فيه يسحق نفسه وروحه لكنه استطاع كتم تأوهاته بصعوبة كي لا تسمعها وفية السفاحة باردة الأعصاب على بعد أمتار بالأعلى؛ لكن إفاقته لم تكن كافية لنجاته فقد اكتشف فقده الإحساس بالكامل بنصفه السفلي من جسده ولم يعد يستطع التحكم إلا بذراعيه والمشهد حوله جد رهيب فجثث عائلته تتساقط من أعلى وما هى ألا دقائق وتشعل وفية بها النيران.

قرر الاستسلام للحظة لكن رؤيته لوجه حبيبته لبنى التي فارقت الحياة أشعل في جسده وروحه رغبة الحياة لا الموت؛

ربما رغبة في الانتقام لها ولعائلته المنكوبة والمسجية حولة جثثاً لا حياة فيها؛ ولكن كيف النجاة من موقف كهذا؛ تسمرت عينا ياسر على الفجوة في جدار البيارة وكان أمامه أملا وحيدا للبقاء على قيد الحياة هو الزحف بذراعيه ساحبا جسده فوق الرماد وبين جثث عائلته؛ حاول ببطء وصعوبة لكن بداية سكب وفية للجازولين دفع الأدرينالين في جسده بغزارة فوصل للجدار الذي فيه الفجوة وحاول باستماتة رفع جسده ليدخلها وقبل أن تشتعل النيران في البيارة بثوان كان يسكن جسده داخل الفجوة لينجو من النيران منكمشا بداخلها خلف الصخرة؛ كاد يختنق من الأدخنة المتصاعدة وأحس بجلده يذوب من الحرارة فجعل نفسه بوضع الجنين ليحمى وجهه..

لكن الحزن كان أقسى وكاد يفتته فإلى جواره تحترق حبيبته لبنى وأقاربه جميعاً فعلا صوت أنينه حتى انفجر صوت ارتطام جسد وفية بجدران البيارة ثم سقوطها فوق رماد الجثث المتفحمة.

رؤيته لجسد وفية المسجى منحه شعور كبير بالراحة فلم تمض إلا دقائق ووجد العدالة الإلهية تسقط القاتلة في نفس المصير مع ضحاياها؛

لم يدر كيف حدث هذا ولم يكن ذلك أكبر همه فالاختناق مصيره الحتمي وسط تلك الأدخنة لكن الأمطار التي بدأت تطفيء لهيب النيران أنقذته من الاختناق وأنقذت حياته وهنا غاب عن الوعي أخيراً.

لم يقل الكثير عندما أخرجوه من البيارة (وفية قتلت الجميع.. لبنى.. حبيبتي.. ماتت) تلك الجملة الوحيدة الواضحة.. فبعدها لم ينطق ياسر بكلمة أخرى واضحة المعنى لأعوام طويلة وظل مقعدا على كرسي متحرك شارد الذهن طوال الوقت تنتابه نوبات تشنج بين الحين والآخر ويتمتم بكلمات شاردة مثلة تلقي الرعب في نفوس الجميع أو تلقيهم في بئر من الأحزان؛ وكأن روحه رحلت مع الراحلين وتركت جسدا مشلولا صامتاً شارداً.. ليذكر الجميع بالمأساة التي حدثت كلما رأوه ويظل شاهدا صامتا على ما سيحدث؛ ربما تمكنت ثروة العم حساب من معالجة الجسد يوما ما؛ ولكن هل يمكن علاج تلك النفس التي عاشت أكبر المآسي؟.

ماضي وفية كفتاة ليل والذي اكتشفه وفجره المقدم علاء مسئول الجهات الأمنية صاحب فكرة إعلان وفاة عادل لحمايته والذي حضر مع رجال المباحث يكشف الوجه

الحقيقي لوفية وكانت كل الدلائل تؤكد ارتكابها للجرائم وخاصة بعد علمهم بموضوع الوصية من منير والذي أعطى للقاتلة دافعا قوية على ارتكاب الجرائم؛ كانت تلك المرأة القاسية ذات أصول بدوية من ناحية الأب وتربت في صغرها معه في الصحراء مما أكسبها خبرات كثيرة كالتعامل مع الأفاعي والعقارب فاستطاعت اقتناصهم من الأراضي الصحراوية بأطراف العزبة واستخدامها في جرائمها.. ولكن من أين أتت تلك المرأة بكل تلك القسوة؟! ربما بسبب قسوة الحياة معها؛ لقد عانت من الحياة القاسية في الصحراء في طفولتها وحتى بعدما انفصلت أمها بنت أحدى مدن القناة عن أبيها وعادت لمسقط رأسها بسبب عدم إنجابها إلا الإناث شهدت وفية في شبابها العدوان الثلاثي على تلك المدينة وكل مدن القناة ولكنها لم تسقط في بئر الانحراف إلا بعد ترحيلها عن مدينتها وقت نكسة ١٩٦٧ عندما وجدت نفسها تواجه أسوأ الظروف المعيشية واضطرت لبيع جسدها مما قضى على ما بقى من الإنسانية بداخلها ورغم اشتغالها بعد ذلك بالتمريض منذ فترة حرب الاستنزاف فقد كان الشر المتكون بداخلها مما عانته في حياتها كامناً ينتظر فرصته لينفجر في وجه الحياة وقد جاءت لها الفرصة بوصية العم حساب.

(من السهل أن تتعافى الأوطان من الحروب والأزمات لكن البشر يرثون مآسيها) قالها المقدم علاء ولم يطل الحوار بينه وبين منير فقد كان من المستحيل تحرير محضر بالواقعة في ظلّ إعلان وفاة عادل ولم يكن هناك أي داعٍ لهذا فالقاتل لقى جزائه وجثث ضحاياه تحولت لرماد يرقد في قاع البيارة العميق والناجي الوحيد مجرد جسد لا يتحرك أو ينطق؛ قام علاء بطمأنة منير بأنه عين حراسة داخل العزبة بدلا من الحراسة على بداية الطريق المؤدي للعزبة والتي كانت متواجدة كلجنة تأمين اعتيادية بالطريق الرئيسي كي لا تثير أي شكوك وتحمي العزبة من دخول أي غريب إليها.. فلم يكن هناك أي خوف على سلامة العالم الكبير من أي خطر خارجي طالما ظل الجميع يظن موته.. وكانت سخرية الأقدار لكون الخطر كان بجواره طوال الوقت من أقرب الناس إليه.

وانتظر حتى أفاق عادل الذي فتح عيناه ليجد منير أمامه واقفا يناوله كوبا من العصير وحبتي دواء ثم يتجه ليباعد ضلفتي النافذة فيدخل الهواء النقي إلى الغرفة ورئتي عادل الذي تضايقه أشعة الشمس للحظة فيستدير له منير ويتبادل مع عادل نظرة طويلة يتجسد الحزن وسط مشاعر وأفكار متعددة فيها حتى تنتهي بجملة منير (لا تشعر بالذنب.. رغم أنني حذرتك

عندما أخبرتني بما تريد أن تفعل.. لكن أنا نفسي لم أكن أتوقع أنه بهذه الخطورة.. للأسف أخطاء الكبار تتضخم بقدر حجمهم.. لكن ما حدث حدث.. لقد نجا ياسر.. لكن حالته سيئة للغاية وقد تم نقله للمستشفى ربنا سنحتاج لترتيب سفره للخارج ليحظى بما يحتاج من علاج.. أظن أن أفضل ما تفعله الآن.. أن تنتظر عدة أيام ثم نعلن أنك أفقت من الغيبوبة.. وتبدأ في الخروج وتغيير الأجواء) عينا عادل تبحثان عن شيء فيجد منير يناوله السيجار والقداحة ويقول (أعلم أنك تحتاجه جداً الآن) يهم منير بالخروج من الحجرة ثم يتوقف ويقول (أنت تحتاج إلى طاقم جديد للعمل في العزبة.. لا تقلق.. سأوفره لك.. نحتاج دفع تعويضات لأهالي طاقم عملك القديم هل توافق) يومىء عادل برأسه موافقا ويقول (تصرف كما تشاء.. مكتب المحامي به مبلغ كبير تحت تصرفهم.. إدفع التعويضات بسخاء) يهز منير رأسه ويقول (حسناً.. فلتنهِ سيجارك وسأعود بعد قليل لأعيدك إلى غيبوبتك المصطنعة).

❊ ❊ ❊

في قطعة أرض على أطراف العزبة ذبلت جميع أشجارها بلا سبب معروف وكأنه إعلان منها أنها منطقة للموت؛ قام منير بناء على اتفاقه مع المقدم علاء ببناء المقابر بتعجل كبير؛ كان هذا أفضل الحلول لتلك الوفاة الجماعية التي لم تترك لأغلب أصحابها سوى بعض الرفات الرمزي.. ثلاثة قبور.. الأول لأهله ضم رفات وهشام المتهور ومحمود المادي وفادي الفنان في حجرة الذكور.. ونجا منها جسد ياسر الطيب؛ أما حجرة الإناث فرقدت فيها لبنى الحالمة وعبير المنطلقة وضحى خفيفة الظل.. الجميع سواء بضع حفنات من رماد البيارة أو بقايا جد أكلته النيران؛ أما القبر الثاني فرقد في غرفة الذكور فيه رماد ملاك وعبد الفتاح وحامد ومسعود أربعة من الأبرياء الذين لم يقترفوا أي جريمة سوى تصديقهم أن الأيام يمكن أن تكافئهم على الإخلاص.. في حين كانت حفنة عاطف المحامي تجسيدا للقرار الخاطيء الذي اتخذه بموافقته على تنفيذ هذه الوصية وإدراج اسمه فيها فما لديه كان كفيلا بدرء الطمع عن نفسه مهما زاد إغراء المال وكانت غلطته الكبرى هى ثقته بوفية وإخبارها بالشيكات الموجودة في المظروف المغلق دون الورثة مما أعطاها الدافع للتفكير في جرائمها والحصول على الثروة وحدها دونهم؛ واحتل جسد وفية المحترق غرفة الإناث بجوار

حفنة رماد تعبر عن سوزانا التائبة التي احترق جسدها في الدنيا لكن توبتها الصادقة قد تكون وقاية له كي لا يحترق في الآخرة؛ أما القبر الثالث والأخير فقد شُيّد كالقبرين الآخرين حجرة للذكور وأخرى للإناث وتركه عادل لنفسه فشعوره العارم بالذنب لم يسمح له بفكرة أن يدفن بجوار ضحايا خطته الفاشلة؛ كان منظر القبور مهيباً فأمر عادل بعد إعلان إفاقته رسميًّا بزراعة أشجار كافور لتحيط بالمقبرة من كل النواحي ولا تترك إلا مدخلا ضيقاً يؤدي إليها.. وهذا ما حدث.

كان الحزن يعتصر ملامح المقدم علاء وهو يبلغ أقارب الضحايا برحيل ذويهم ولكن التعويضات السخية التي قدمها لهم عادل حساب خففت مصيبة الفقراء منهم.. وقامت فريال المحامية المعاونة بمكتب عاطف بتسليم ورثة الضحايا تعويضاتهم وإبلاغ أبنائه المهاجرين للخارج فحضروا مراسم الدفن وعليهم غيمة من الحزن لتقصيرهم معه في حياته ولم يهتموا كثيرا بتعويض عادل حساب فميراثهم من أبيهم كان كبيرا.. ونقمتهم على عادل كانت أكبر فقد رأوه سبب ما حلّ بأبيهم..

وفي النهاية رحل أبناء عاطف المحامي وظلت فريال للحديث مع عادل بعد أن أبدى رغبته في أن تكون محاميته الخاصة خلفا

للراحل عاطف الذي طالما مدح نبوغها وإخلاصها ووضع ثقته الكاملة فيها.

وأوفى منير بوعده بعدما استطاع تدبير خدم وعمال جدد للعزبة في وقت قياسي لكنه للأسف اضطر أن يغادر مع أسرته لدولة أوروبية عينته كبيرا للجراحين بكبرى مستشفياتها بعد نجاحه المتكرر في عمليات بالغة الخطورة ذاع صيتها في الأوساط الطبية.. (ماذا تنوى أن تفعل الآن؟) جملة قالتها فريال دون أن تدري الدوامة التي تكونت بها لتختطف أفكار عادل؛ فهو بالفعل لا يدري ماذا سيفعل بحياته أو بالباقي من حطامها.. فها هم جميع أقاربه الشباب يرقدون في القبور بسببه ومن نجا جسد بلا حركة أو صوت والتطور العلمي الذي عاد ليحققه في وطنه هدم قبل أن يبدأ وأصبح ميتاً حياً للحفاظ على حياته؛ رأى عادل نفسه كياسر فكلاهما حي مشلول الحركة لا يستطيع الكلام لكن ياسر كان يعيش ذلك حرفيا وعادل حساب يعيشه رمزيا فيالسخرية الأقدار.

كان عرض عادل مغرياً ولا يترك أي فرصة للرفض في مخيلة فريال.. سيقوم بشراء مكتب عاطف ويكتبه بإسمها كمكافأة نهاية خدمتها لعاطف المحامي وبداية رحلتها كمحاميته

الخاصة.. شردت فريال بعد عرض عادل فلم تكن تتخيل مثل هذه النقلة في حياتها.. فمنذ لحظات كانت محامية صغيرة تعمل في مكتب محامي كبير رحل عن الحياة وستبدأ في البحث عن عمل آخر؛ لكنها للتو أصبحت تمتلك مكتبا فاخرا في أرقى أحياء القاهرة ولديها عميل مهم سيدفع لها بسخاء مقابل خدمات بسيطة ؛ لكنها تفيق فجأة بعد أن تذكر مصير كل من قام بخدمته في السابق وتكاد تنطق برفض العرض ثم تشرد في بريق حلم الثراء الذي اختطف عينيها مرة أخرى.

❊ ❊ ❊

بدأ عادل بفتح أبواب الحرية ويخرج من المنزل ليستمتع بحياته وساعده على هذا كونه عاش أكثر من نصف حياته في الغربة فلم يكن له الكثير من المعارف بمصر وكون وجوه العلماء لم تكن تتصدر أغلفة المجلات المصرية إلا نادراً في منتصف السبعينات فكان أقل تغيير في هيئته مع لحية وشارب حديثي العهد بوجهه يكفونه لكي يتحرك بمنتهى الحرية.

تعرف عادل إلى صافي المطربة الرقيقة ذات الصوت الساحر والتي تغني على أنغام "وفيق" عازف البيانو بمطاعم الفنادق الراقية؛ وكانت تعاقدت للتو مع شركة كبرى للإنتاج الموسيقي لإنتاج ألبوم غنائي بصوتها فقام عادل بدفع الشرط الجزائي وحررها من العقد؛ وبدون إضاعة المزيد من العمر تزوج منها فهى لم تكن مبالية بفارق السن بينهم أمام شخصيته الجذابة وربما أيضاً بريق ثروته وسحر شهرته ونبوغه فقد صارحها بحقيقة من يكون قبل زواجه بها ؛ تحولت أول أيام الزواج إلى سحبٍ خيالية حملتهم بعيداً ولكنّ الملل والتغير المفاجيء في حياة صافي التي فقدت جميع أصدقائها ونمط حياة المدينة بعد انتقالها للعيش في العزبة المنعزلة كانا محبطين لها ولعادل بدوره لكونه بدأ يلحظ الملل في تصرفاتها ؛ لكنه لم يستطع مواصلة الخروج بكثرة بسبب تخوف المقدم علاء الذي رأى أن

هناك خطراً من أن يتعرف عليه أحد؛ فقرر إقامة حفلات أسبوعية في الفيلا واستضافة عدد من أصدقائها لقضاء العطلات بالعزبة وكان سخيا ومضيافا جدا مع الجميع فتبخر الملل من حياتهم؛ كانت صافي تعرفه لأصدقائها بإسم عادل منصور رجل الأعمال الثري الذي صفى جميع أعماله بالخارج وعاد لمصر ولم يكن أحد يعرف حقيقته سوى نانسي صديقتها المقربة التي كانت حانقة من زيجتها به في البداية ولكن أيدي المنفعة التي طالتها هى الأخرى جعلتها تغير رأيها.

بدون مقدمات قررت الأيام أخيراً أن تمنح عادل وريثاً من صلبه فأنجبت له صافي ولده فريد الذي بدا نابغاً كأبيه منذ نعومة أظافره ؛ كان يوم ميلاد فريد مميزاً مثلة فهو من مواليد الحادي والثلاثين من ديسمبر.

❊ ❊ ❊

عندما وصلت نتيجة الحائط لآخر اوراقها؛ لم يكن عادل مصدقاً أنه في نهاية العام ١٩٨٥ وأن اليوم هو حفل عيد ميلاد فريد التاسع؛ الأعوام مرت بسرعة خاطفة ولكنّ الحب يظهر متقداً وجليًّا في أعين عادل وصافي رغم مرور هذه الفترة الطويلة على زواجهما.. ورغم فرق السن بينهما (لم أقابل شخصاً مثلك أبدا في حياتي) قالتها صافي وهى تطبع قبلة حانية على جبين عادل وتجلس بجواره واضعة كفه بين كفيها الرقيقين؛ كانت صادقة في مشاعرها تجاهه فهو شخصية حكيمة إلى أبعد الحدود وله خفة ظل غير متوقعة مع كونه عالماً عالمياً.. وبينما كان مهتما بها إلى أبعد الحدود ويشاركها معظم الأوقات حتى ساعات القراءة كان يمضيها بجوارها وهى تلاعب طفلهما فريد وهو يطالع المجلات والجرائد المحلية والعالمية والنشرات والكتب العلمية وأحياناً الأدبية أيضا وكان كل حين يتوقف عن القراءة ليلخص لها ما قرأ أو ليشاركها فكرة أو معلومة مبهرة.. لم يكن يفارقها إلا لصيد الطيور في نواحي العزبة والذي كانت رقتها ترفض أن تشاركه فيه لكنه اصطحب فريد طفلهما للصيد معه منذ نعومة أظافره أو لكتابة مذكراته قبل الخلود للنوم في حجرة مكتبه.. تلك المذكرات التي أودعها أمانة لدى منير في فترة غيبوبته

المصطنعة وأوصاه أن يسلمها لرئاسة الجمهورية في حالة وفاته لكن منير أعادها إليه حين إفاقته بعد أن سببت له محاولة سرقة بيته بأيدي مجهولين فتشوا البيت وقلبوه رأسا على عقب حتى وجدوها رغم حرصهم على أن يبدو الأمر محاولة سرقة.. لكن منير الفطن كان يحتفظ بنسخة من المذكرات أعادها لعادل في مجلد به صفحات فارغة ليواصل عادل كتابة مذكراته عن الفصل الجديد من حياته واحتفظ لنفسه بنسخة من المذكرات الأصلية بعد استئذان عادل ليواصل قراءتها فقد وجدها شيقة ومليئة بالأحداث والمفاجآت؛ أخذ عادل المذكرات من منير معتذراً لمنير عما سببته له وسمح له بالاحتفاظ بنسخة المذكرات عن حياته السابقة وبدأ يضيف إليها عادل حساب الفصل الجديد من حياته.

لم يكن هناك العديد من المدعوين في حفل عيد ميلاد فريد السابع؛ نفس الوجوه التي اعتادت الحضور منذ بدأ عادل وصافي إقامة حفلاتهم الأسبوعية للأصدقاء مصحوبة بوجوه كانت تتردد كل حين وآخر؛ حضرت نانسي صديقتها المقربة بصحبة زوجها الثاني كريم بعد طلاق نانسي هوائية الطباع سريعاً من زوجها الأول فوزي الشاعر صديق وفيق عازف البيانو لتستقر نانسي في منصب زوجة كريم علوي الصديق

المشترك بينها وبين صافي لكونه زميل دارستهم الجامعية وضيفاً دائماً بحفلات حساب منذ بدايتها؛ كان كريم زوجاً مثالياً لنانسي فثراء أسرته منحه تفرغاً دائماً و نمط حياة مرفه طالما حلمت به نانسي؛ أما عازف البيانو وفيق فلم يكن تزوج رغم مرور الأعوام واقترابه من الأربعين ورغم وسامته الشديدة ورقيّه في التعامل مع الجميع.. كان سره الخفي هو الحب الذي كتمه في صدره لصافي المطربة الشابة التي عاملته كأخ أكبر وربما كوالد لكونها فقدت أبويها منذ الصغر وليس لها إخوة فظل يمارس ذلك الدور ويراعي فارق السن بينهما ويتمنى لها زوجاً شاباً ففاجئته الأقدار بزواجها من رجل أكبر منه بكثير؛ في حين حضرت فريال محامية عادل مع زوجها يوسف وهو محامي زميل يصغرها بعدة سنوات أشركته في إدارة مكتبها ثم تزوج منها بعد تلقيه نصيحة من عادل في أحد الحفلات التي حلّ يوسف أيضاً ضيفاً دائماً عليها لمرافقته الدائمة لفريال؛ كان يوسف متردداً حيال فكرة الزواج منها بسبب فارق السن لصالح فريال التي كانت تخطو في سن العنوسة ؛ لكن عادل جعله يحسم موقفه بحسبة بسيطة فزواجه من فريال سينتشله من الفقر ويضعه في صفوف الأثرياء وحبها الجارف له سيضمن سعادتهما في الزواج؛ كان هذا جميل آخر جعل

مكانة عادل تتعاظم في نفس فريال فبعد أن سبب لها قفزة اجتماعية ومادية أقنع من تحب بالزواج منها؛ آخر الضيوف الدائمين في حفلات حساب كان المقدم علاء الذي تحول إلى العميد علاء بعد مرور السنين؛ كانت زياراته الدائمة لحساب بدافع مسئوليته عن ملفه في البداية لكن علاقة صداقة قوية جمعته به وبزوجته صافي بمرور الأيام؛ كان الحفل غير اعتيادي لكونه حفل رأس السنة وعيد ميلاد فريد وازداد بريق الحفل بعودة منير طبيب عادل وقريبه البعيد والوحيد الذي بقى على قيد الحياة؛ كان يصطحب زوجته نوران وابنه سامي وابنته هاجر للتعرف إلى عادل حساب قريبهم صاحب الشهرة العالمية والوجود السرّي فلم يكن أيٌّ منهم قد رافق منير لزيارة عادل من قبل ولم يحضروا أيًّا من الحفلات التي حضرها منير قبل سفره معهم إلى أوروبا بل ولم تعرف نوران أن عادل حساب على قيد الحياة إلا في تلك الليلة وذلك بعد أن أصر عادل على إخبارها ليستطيع أبناء منير التعرف إلى فريد ابن عادل؛ عاد مع منير ياسر الجسد المقعد على كرسي متحرك من أعوام.. صامت كالقبر شارد كالخيال تنتابه نوبات تشنج على فترات متباعدة كانت أولها حين رآي عمه عادل حساب أمامه في حديقة الفيلا؛ بعدما فشلت محاولة جديدة لعلاجه

بالخارج؛ لقد بعثه العم حساب لأكثر من مشفى عالمي ولكن أجمع الأطباء أن حالته النفسية هى السبب الرئيسي في عدم استجابته للعلاج فليست لديه أدنى رغبة للحياة فاتفق منير وعادل أن ينهيا رحلة العلاج الأخيرة ويعيداه إلى مصر ليعيش وسط الباقيين من عائلته ربما تحسنت حالته.

أثناء الحفل جلس عادل ومنير في التراس العلوي يتابعان استمتاع الجميع بغناء صافي على أنغام البيانو التي يرسم بها وفيق جوًّا رومانسيًّا للمكان؛ لاحظ منير توهج الغيرة في عين عادل عندما احتضنت صافي وفيق بعد انتهاء الأغنية واشتعال تصفيق الجميع؛ كان العناق أخويًّا لكن ذلك لم يمنع تسلل الغيرة إلى نفس عادل الذي يكبر صافي بالكثير من السنوات (حفل جميل كم اشتقت لتلك السهرات.. لقد تغير المكان كثيراً) قالها منير محاولاً جذب انتباه عادل الغارق في أمواج الشرود والغيرة (أتدري.. كنت أظن أشباح الراحلين ستظل تطاردني في الأحلام وربما في اليقظة أيضاً) قالها عادل وكأن الحزن يعتصره لعدم حدوث ذلك فظهرت الدهشة على ملامح منير فقابلها عادل بابتسامة ممتزجه بالحسرة وقال (لم يطاردني أيّ شبح.. لقد ماتوا وحسب.. ومات معهم إحساسي بتأنيب الضمير.. أتظنّ عقلي حافظ على سلامته بإلقاء

الموضوع في بئر النسيان) تبادلا نظرة بعد كلمة بئر جعلتهما يشردان لكنهما سرعان ما انفجرا ضاحكين بشكل لفت انتباه الجميع لهما فقال منير و الضحكات تتخلل صوته (ما حكاية الآبار في هذا المكان) يصمتان قليلاً بعد أن ينتهيا من الضحك فيقول منير (لم أعد أفهم هذا البلد.. لماذا يغتال رجل كالسادات؟.. لقد حقق الرجل انجازات كانت من المستحيلات) تنقلب ملامح عادل إلى الجدية فجأة و يظهر في عينيه الحزن ويقول (كان ناجحاً وبلادنا هذه تقتل الناجحين.. فهم يُشعرون الجميع بمدى فشلهم) يظهر إعجاب منير بعمق رؤية عادل للأمور فيسأله (لماذا لم تواصل أبحاثك في الخفاء؟) فينكس عادل رأسه ويقول بشجن (لم يطلب مني أحد ذلك.. وهناك أشياء إن لم تطلب منك فلا جدوى من طلبها حتى وإن أجيب طلبك.. أنا حتى لا أفهم هذا النظام الجديد أتدري أنهم حكموا بالسجن المؤبد على الجندي "سليمان خاطر" الذي كانت مهمته حراسة الحدود لأنه أطلق النار على إسرائيليين أصروا على عبورها رغم تحذيراته.. أظنه نظام مختلف عما سبقه تماماً!!.. وأظنني أحسست بموت العالم عادل حساب بداخلي بعدما شاهدت أخبار وصور الجنازة العسكرية التي أقامتها الحكومة لي عندما لفقوا خبر وفاتي لحمايتي من الاغتيال..

أتعرف أنا وياسر متشابهان إلى حد كبير كلانا مشلول وأخرس أليس كذلك)

رفض عادل رحيل منير وأسرته وأصر على أن يمضوا أجازتهم بأكملها في العزبة وخاصة لكون منير قد باع جميع ممتلكاته في مصر بعد رحيله لأوروبا بعامين وأصبح يقيم في شقة مفروشة أثناء الأجازة ؛ لم يرفض منير لإصرار عادل الشديد ولكونه انتهى من جميع زياراته العائلية ولم يعد لديه إلا مؤتمر طبي سيحضره بعد إسبوعين؛ أقام منير وأسرته في شاليهين من الشاليهات الموجودة حول المسبح واكتشف بقاء بعض المدعوين بالحفل في الشاليهات المجاورة بعد انتهائه؛ وعلم من " عم مصيلحي " كبير الخدم أن تلك هى العادة منذ سنين وغالباً ما يبيت البعض لليوم التالي ويرحل في الصباح أو بعد تناول الغداء؛ وكان عم مصيلحي خير راع لياسر المقعد فإشفاقه عليه كان بلا حدود فهو لا يغادر حجرته إلا نادرا ولا يشارك بأي حدث ولا حتى في الطعام معهم وطالما حاول الابتعاد عن العزبة بكرسيه المتحرك كلما ترك خارج الفيلا؛ لكن الوحيد الذي كان قادرا على رسم شيئاً من الابتسام على وجهه وإزاحة جبال الوجوم من على ملامحه للحظات هو ابن

عمه حساب الطفل فريد الذي كان يحرص يوميا على زيارته والاطمئنان عليه.

يبدو أن جسد عادل حساب أحس بوجود الطبيب منير فما مرت إلا أيام قليلة حتى وبدأت أعراض الأزمة الصحية تظهر عليه؛ فاصطحبه منير إلى المدينة وأجرى له عدداً من التحاليل والأشعة لكون مرضه غريباً فقد كان يشكو من شعور دائم بالدوار دون سبب معروف.

قلق صافي البالغ على صحة عادل لم يكن يخفى على أحد لكن رعاية منير له عجلت بشفائه فعاد لعاداته القديمة واسترد عافيته؛ وقف منير يتابع لعب عادل مع ابنه فريد وسعادته البالغة بشعور الأبوة الذي فاجأه بعد أن بلغه الكبر؛ كان منير متوتراً بشكل كبير أثناء جلوسه مع عادل بحجرة المكتب رغم محاولته إخفاء توتره (أهناك شيء في التحاليل لا تريد إخباري به؟) قالها عادل محاولاً إنهاء الصراع الواضح على وجه منير الذي أطلق تنهيدة طويلة ثم قال (إن صحتك على ما يرام) صمت منير وكأنه قرر عدم إكمال جملته فتفحص عادل وجهه ثم اتسعت حدقتاه عندما راودته فكرة ما وقال (لقد أجريت فحوصات شاملة لي.. ألا أستطيع الإنجاب؟) يحمر وجه منير

فيزداد اتساع حدقتا عادل ويقول صارخاً في وجه منير (أجبني) يرتعش منير ويقول (ربما يكون جهازك التناسلي ضعف مؤخراً ولم تكن كذلك منذ عشر سنوات حين رزقت بفريد) يهدأ عادل بعض الشيء ويقول (ربما) فيقول منير بسرعة (هذا بالتأكيد ما حدث.. لكن الأمانة العلمية و صداقتنا أجبرتني على إخبارك بأمر كهذا.. فإن عاودت محاولة الإنجاب الآن لن تستطيع.. صدقني هذا كل شيء) ابتعد منير مسرعاً من جلسته أمام عادل و تركه ينفث دخان سيجاره و يغرق في دوامة من الأفكار.

كانت تلك هى المرة الأولى تقريباً التي يغادر فيها عادل أسوار العزبة وحيداً بعد زواجه من صافي التي لم يكن تبرير خروجه مقنعاً لها لكنها ابتسمت وودعته وأقنعت فريد بالتوقف عن الترجي لاصطحابه معه فقد كان الصبي يحب قضاء الوقت مع أبيه الحنون كثيراً؛ عندما استيقظ منير وعلم بمغادرة عادل بهذا الشكل شعر بالقلق لكنه طمأن نفسه أن كلّ شيء سيكون بخير لكنه عادل للقلق مرة أخرى عندما اكتشف اختفاء مظروف التحاليل والأشعة من مكانها فوق مكتب عادل؛ عاد عادل بعد ساعات قليلة و تبادل نظرة طويلة مع

منير الذي نكس رأسه وصمت؛ لكن عادل لم يظهر أي تغيير في معاملته لصافي أو لابنه فريد ومرّ اليوم كأن شيئاً لم يكن.

طعام فاخر جداً أعده عادل لضيوفه هذه المرة لقد فوجيء عم مصيلحي بالطرود التي تصل للعزبة وبها أفخر أنواع الكافيار والمأكولات البحرية وزجاجات الخمور المستوردة التي بدأ عادل في احتسائها بشراهة رغم تحذيرات طبيبه منير وتوسلات زوجته صافي التي ألقى بها عادل عرض الحائط بلا مبالاة تارة وبترجيه لهما أن يتركاه يستمتع قليلاً تارة أخرى؛ كان مهتماً بالحفل في تلك الليلة بالذات لم يقرب الخمر كان يحاول التركيز؛ جلس في تلك الليلة يحاول تعقب النظرات و التعبيرات على الملامح بين صافي وجميع الموجودين خاصة الضيوف الدائمين لهم و الذين مرّ على زياراتهم وحضورهم لحفلاته الأسبوعية قرابة العشر أعوام وخاصة الذكور؛ عازف البيانو الأعزب وكريم زوج نانسي ويوسف زوج فريال والعميد علاء وطبيبه وقريبه البعيد والوحيد منير الذي جلس يتابع نظرات وانفعالات عادل في قلق بالغ؛ مرت ليلة الحفل بهدوء فقد حافظ فيها عادل على كرم الضيافة للجميع فطالما حرص على حضورهم الدائم؛ ولو أنه كان شديد الحرص في تلك الليلة التي بات فيها عازف البيانو وفريال و زوجها يوسف و في اليوم

التالي كان جميع الضيوف قد رحلوا ولم يبق سوى عادل وزوجته وابنه فريد و منير وأسرته والخدم و رياح الشتاء التي بدأت تضرب العزبة مترامية الأطراف.

❊ ❊ ❊

(لم يعطني الطبيب رأيا حاسماً) قالها عادل لمنير ثم أطلق رصاصة من بندقية الصيد بغضب واضح وكأنه يقتص من الطيور التي يصطادها؛ كانا يسيران معاً بين أشجار العزبة المعمرة تلك المنطقة التي كان يبقيها عادل كما هى ليمارس فيها الصيد (إذن فقد أخذت برأي طبيب آخر) قالها منير و قد بدا الحنق عليه فربت عادل على كتفه و قال (إن ما قلته لي احتمال كبير.. من الممكن أن يكون العقم طرأ علىّ في السنوات الأخيرة وخاصة بعد تعرضي لعدة أزمات صحية فيها ولكنّ احتمال كوني عقيماً من البداية قائم هو الآخر.. وهذا ما يفقدني صوابي) يتبادلان نظرة طويلة ثم يصمتان ويكمل عادل الصيد ويغلق النقاش في هذا الموضوع لعدة أيام.

حزن فريد لعدم اصطحاب والده له أثناء الصيد كعادته؛ كان الصبي شديد التعلق بأبيه و الذي كان يعامله كشخص ناضج رغم صغر سن فريد وفارق السن الكبير بينه و بين أبيه؛ لم يكن الصبي يستوعب سبب الحزن الذي سيطر على وجه أبيه في الأيام الأخيرة و الذي لاحظته صافي بدورها لكن عادل تنكر لذلك وحاول أن يظهر طبيعيًّا؛ حلت نهاية الأسبوع سريعاً وحلّ معها موعد الحفل الأسبوعي الذي فكرت صافي لإلغاءه بسبب الأمطار التي صاحبت قدوم الشتاء وبسبب إحساسها بالحزن

المفاجيء الذي خيم على عادل دون سبب تعرفه؛ لكن زوجها أصر أن يقام الحفل كالمعتاد؛ كان الضيوف يصلون للعزبة ما بين فترة الظهيرة و حتى غروب الشمس؛ في هذا اليوم حضر الجميع إلا عازف البيانو.

غياب وفيق عازف البيانو كان ملحوظاً للجميع ومسبباً لفراغ كبير في الحفل فلم يعزف ولم تغني صافي في تلك الليلة؛ لكنهم استبدلوا ذلك ببعض شرائط الكاسيت التي منحت الحفل موسيقى كلاسيكية راقية ثم بعض أغنيات فيروز وأم كلثوم المتناسقة مع ذوق رواده؛ غياب وفيق الغير متوقع والغير معتاد سَبب قلقاً لدى صافي لكونه كان حريصاً على الحضور الدائم لتقاضيه مظروفاً مالياً سخياً من يد صافي و مال عادل مقابل العزف؛ وكانت صافي تحرص ألا يشعر وفيق أنه أجير في حفلهم لكنه ضيف كالجميع ويتقاضى عطاء سخيًّا من زوجها الثري الذي يقدر فنه؛ ازداد قلق صافي عندما حاولت الاتصال بوفيق هاتفيًّا ولم تجد أي إجابة؛ لاحظت نانسي وزوجها كريم قلق صافي فوعداها بالمرور على منزله في طريق عودتهما للاطمئنان عليه؛ لكن شخصاً آخر كان أكثر قلقاً من صافي لغياب عازف البيانو.. هو الطبيب منير الذي تبادل العديد من النظرات مع عادل الجالس وفي خلفيته البيانو الذي لم يحضر إليه عازفه.

اضطرت نانسي وزوجها كريم لكسر باب شقة وفيق عازف البيانو المختفي منذ قرابة الأسبوع وفقاً لجيرانه الذين كانوا يشتكون من صوت المذياع المنبعث من داخل شقته ومن الرائحة الكريهة المنبعثة منها والتي تدل على عدم إخراجه للقمامة من عدة أيام واستعانت بحارس العقار وطليقها فوزي الشاعر جار وفيق الذي كان لقاؤها به مزعجا له ولها ولزوجها الجديد كريم؛ ولكن ذلك الانزعاج سرعان ما تبخر فور كسر الباب فقد تبين للجميع سر غياب وفيق؛ لقد رحل عازف البيانو الحالم إثر أزمة قلبية مفاجئة وفق تقرير الطبيب الشرعي الذي أعد على عجل لعدم وجود أيّ شبهة جنائية في الأمر؛ فالرجل بلا أعداء و على علاقة طيبة بكل من يعرفه و المنزل كما هو.. لا شيء مفقود وجميع المخارج والمداخل من أبواب ونوافذ سليمة عدا الباب الذي كسره حارس العقار لإدخال نانسي وزوجها كريم بعد أن قلقا لغيابه.

كانت نظرات شك منير تطارد عادل طوال طريق عودتهم هو وزوجته صافي بعد تقديم واجب العزاء لأهل وفيق عازف البيانو؛ كان صافي منهارة فوفيق كان لها بمثابة شقيق أكبر على حد قولها؛ أهمل عادل نظرات منير طوال طريق العودة لكنه في المساء و حين أصبحا وحدهما عاجله بسؤاله (ما سر تلك

النظرات في عينيك؟) صمت منير و لم يجب فقال عادل بانفعال (أتظنني قتلت الرجل عن بعد؟) نظر منير نظرة مباشرة لعيني عادل محاولاً أن يتبين صدقه من كذبه فأشاح عادل بوجهه عنه فقال منير بهدوء (أنت عالم عالمي.. حائز على أكبر الجوائز.. وعقلية يشهد لها الجميع بالنبوغ و العبقرية.. أظنك لن تعجز إن أردت تنفيذ جريمة كاملة) يتوتر عادل ويقول (أنت تهزي) يشعل عادل سيجاراً ويبدأ في التهام دخانه ثم يقول (لا.. أنت لا تهزي.. لقد تمنيت موت الرجل في قراره نفسي.. أتظنني قتلته بتلك الأمنية الشريرة.. أتعرف أن فريد ولد بعد سبعة أشهر من الحمل) كانت تلك آخر جملة قيلت بين عادل ومنير في تلك الليلة فقد قام منير متجهاً للشاليه حيث ترك أسرته دون أن يرد عليه؛ في الأيام التالية عادت صحة عادل إلى التدهور فاضطر منير للبقاء في مصر لعدة أسابيع إضافية وتأجيل سفره؛ لكنّ صحة عادل لم تتحسن سريعاً كالمرة الأولى بل أصيب بإلتهاب في الأعصاب جعله يلازم الفراش لفترة ولم يغادره إلا بعد أن جلب له طبيبه منير كرسيّاً متحركاً يتجول به في أرجاء العزبة بعد أن ملّ الرقاد فشعر للمرة الأولى بالعجز الحقيقي الذي يشعر به ياسر من أعوام طويلة؛ كانت تدفع الكرسي أيدي زوجته صافي الغارقة في حزنها لرحيل وفيق

عازف البيانو ثم مرض زوجها أو عم مصيلحي كبير الخدم.. لكن منير صديقه الوحيد وطبيبه وقريبه البعيد كان أكثر من يرافقه.. في ذلك الوقت بدا لعادل حساب جليًّا أن سطور نهايته على وشك أن تكتب؛ وأنه في الأغلب لن يستطيع أن يخطو عابراً مرة أخرى من أبواب الحرية.

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني

تصفية الحسابات القديمة

أسكنت رياح الشتاء الباردة صافي في فراش المرض هى الآخرى لكن وجود الطبيب منير عجل من تعافيها؛ لكنها كانت لوحة حزن تعيش في المكان فحاول عادل التخفيف عنها بإعادة إقامة الحفلات الأسبوعية مرة أخرى بعد أن كانت توقفت منذ رحيل عازف البيانو المفاجيء عن الحياة؛ بدأت صحة عادل تتحسن تدريجيًّا وبدأ الجميع يتناسى العازف الراحل؛ مرت الأيام وكأن كلّ شيء سيعود لسابق عهده وستستمر الحياة لكن الأزمة القلبية كانت من نصيب كريم زوج نانسي هذه المرة.

كان انهيار نانسي بالغاً وهى تتلقى خبر رحيل زوجها في حجرة العناية المركزة بالمستشفى؛ اتصلت بفريال المحامية التي أصبحت صديقة مقربة لها بعد مرور تلك السنوات والتي تقطن على بعد دقائق من المستشفى؛ حضرت فريال على عجل وبصحبتها زوجها يوسف الذي لم يصب بالحزن كفريال لكنه إصيب بالريبة لوفاة شاب مثل كريم بأزمة قلبية مشابهة لما حدث مع عازف البيانو وفيق الذي رحل منذ أسابيع قليلة؛ لم يخبر يوسف فريال أو نانسي بشكوكه لكنه اتصل بالعميد

علاء والذي حضر بعد نقل جثمان كريم إلى ثلاجة الموتى تمهيداً لدفنه في الصباح؛ لم يكن العميد علاء في احتياج لأن يستمع للكلمات المليئة بالريبة من يوسف فقد راودته نفس الشكوك على الفور فأمر بتشريح جثة كريم الأمر الذي عارضته نانسي بشدة و ظلت تصرخ منهارة مطالبة بترك جسد زوجها في سلام و تحول انهيارها لنوبة إغماء رقدت على إثرها على أحد أسرة المستشفى.

لم يفهم أيّ من سكان العزبة سبب الحضور المفاجيء للعميد علاء في تلك الساعة المبكرة من النهار؛ طلب الرجل لقاء عادل حساب الذي تحسنت صحته كثيراً وتخلى أخيراً عن الكرسي المتحرك (قد تخدع عيناك عقلك.. لكن قلبك يظل مليئاً بالريبة.. تجاه ألاعيب الساحر) بدأ العميد علاء حواره مع عادل بتلك الجملة فظهر تعبير غريب على وجه عادل و هو يقول (أأصبحت فيلسوفاً يا سيادة العميد؟) يشعل العميد سيجارة بتوتر ملحوظ و يقول (لقد توفى كريم) يشعل عادل سيجاره بدوره و يقول (أعرف.. صافي بصحبة زوجته نانسي..

فالمرأة منهارة منذ توفى زوجها) ينفث علاء دفعة من دخان سيجارته في وجه عادل بشكل عدائي ويقول (كريم قُتل) تظهر الصدمة على وجه عادل حساب الرصين فيتعجب علاء من صدمة عادل عادل فالرجل إما لا يعرف شيئا بالفعل عن الموضوع وإما ممثل في قمة الاحتراف وإما قاتل محترف قدير أتقن جريمته وتفاجأ لأنه ظنها لن تكتشف أبداً؛ يسحب علاء نفسا عميقا من سيجارته ثم يواصل حديثه (لقد أمرت بتشريح جثة كريم.. ووجدنا قفاز الثعلب في دمه) يظهر تعبير دهشة آخر على وجه عادل فيواصل علاء حديثه (قفاز الثعلب هى نبتة يستخرج منها عقار الديجوكسين الذي يستخدم لعلاج أمراض القلب.. وجرعة كبيرة منه تسبب الموت بأزمة قلبية.. أتستخدم هذا العقار؟) يهز عادل المذهول رأسه علامة النفي فيواصل علاء حديثه (عندما وجدنا هذا العقار في دم كريم.. أمرت باستخراج جثة عازف البيانو وفيق.. أتعرف ماذا وجدنا في جسده؟) يصمت علاء الذي حاصر وجه عادل بنظراته فقال (ماذا؟) ينفث علاء دخان سيجارته مرة أخرى تجاه وجه عادل ويقول (وجدنا نفس العقار.. والرجلان لم يكونا مصابين

بأي مرض بالقلب.. أي أننا أمام جريمتي قتل بدم بارد.. أكنت في غيبوبة بالفعل حين قتل جميع أقاربك منذ سنوات؟) كانت جملة علاء الأخيرة الضربة القاضية لعادل الذي جلس في أقرب مقعد وبوادر الانهيار تظهر عليه فلم يعره علاء انتباهاً وأعطى إشارته من النافذة للقوات التي انتظرته في سيارة بالخارج فبدأوا تفتيش المكان؛ خرج ياسر بكرسيه المتحرك من حجرته عندما دخل رجال المباحث لتفتيشها كان في لحظة نادرة من لحظات الوعي فاتجه خارج الحجرة ودفع عجلات كرسيه بذراعيه ليستقر في الحجرة مع العميد علاء والعم حساب فتبادلوا تظرات صامتة فجرت حيرة ياسر؛ استيقظ منير بناء على استدعاء عادل له والكلمات التي التقطتها أذناه من عم مصيلحي ومشهد تفتيش رجال المباحث للمكان الذي فاجأه وأصابه بالارتباك قبل دخوله لعادل الجالس مع العميد علاء الذي بادره بقوله (في حالة ثبوت التهمة على السيد عادل ستتم محاكمته باسم عادل عبد الغني محمود دون إدراج اسم حساب في التحقيقات) ينفعل منير ويقول (أجننت يا رجل.. بأي تهمة يحاكم؟) يدخل الحجرة أحد رجال المباحث واضعاً قارورة

تحوي أقراص عقار الديجوكسين في كيس بلاستيكي ويقول (لقد وجدنا العقار) يسأله علاء بلهفة (أين؟) فيجيب رجل المباحث (في حاجيات السيدة صافي.. زوجة الأستاذ) هنا تتسع عيون الجميع من هول المفاجأة.

كانت بصمات صافي تغطي قارورة العقار.. ومعها بصمات غريبة عن كل من في المكان دلت أحد البصمات على الصيدلي الذي باعها العقار بأحدى صيدليات وسط المدينة والمدون اسمها على الزجاجة؛ لكن الصيدلي الذي يقابل آلاف الوجوه ويبيع العقار للكثيرين من الرواد لم يتذكر صافي ولم تفد شهادته في شيء؛ كانت بصماتها دليلاً كافٍ لإدانتها (كانت كأنثى عنكبوت الأرملة السوداء.. تتخلص من عشاقها) قالها العميد علاء بحسرة ورغبة في الاعتذار لعادل الراقد على فراش المرض منذ تم إلقاء القبض على صافي وأودعت في السجن الاحتياطي في انتظار محاكمتها (صافي بريئة) قالها عادل بصعوبة لمحاميته فريال التي دخلت الحجرة أثناء وجود العميد علاء معه فأجبته (سأفعل كل ما في وسعي لإثبات براءتها) لم يدر العميد علاء

ماذا يقول أو يفعل فثقة الرجل في براءة زوجته كانت تربكه فخرج تاركاً إياه مع محاميته التي تلقت تعليمات عادل حول وصيته التي أصر أن تكتب وتوثق سريعاً و تمنح الوصاية على ابنه فريد لصديقه وطبيبه وقريبه البعيد والوحيد منير وتمنع بيع العزبة تحت أي ظرف.

لم يمر يومان على إيداع صافي بالسجن الاحتياطي حتى أودعت بأحد المستشفيات بعد إصابتها بانهيار عصبي وحالة اكتئاب حادة؛ فقد التقت صديقتها نانسي في أروقة النيابة وأوسعتها سباباً ودعاء عليها فقد رأت أن صافي قتلت زوجها بدافع الغيرة لارتباطها برجل عجوز وارتباط نانسي بكريم الذي كان في ريعان الشباب (أكان الدور على يوسف زوجي؟) قالتها فريال لصافي المرتدية ملابس الحجز الاحتياطي البيضاء داخل المستشفى فانهمرت دموع صافي بشكل جعل فريال تحتضنها وتربت على كتفها ثم تقول (أصدقيني القول.. وإياكِ أن تحاولي الكذب عليّ.. أقتلت وفيق وكريم؟) كانت عينا فريال مركزة على عيون صافي عند إلقائها السؤال فهزت صافي رأسها نافية

بصدق فأصاب فريال رعشة قوية في جسدها لشعورها بصدق صافي الذي يؤكده إحساس عادل حساب ببراءتها؛ لكن يوسف زوجها كان ميالاً لاتهام صافي فقد كانت في نظرة انتهازية وتزوجت رجلاً يكبرها بعقدين من العمر طمعاً في ثروته (أتزوجتني طمعاً في ثروتي؟) قالتها فريال ليوسف فاضطرب وقال (أنتِ تعرفين الإجابة.. لا أنفي أن إنقاذي من الفقر كان أحد دوافع الزواج بك.. لكنني أحبك وأعرف أنك تعشقينني) طبعت فريال قبلة على جبين يوسف وقالت (أظنها تحب الرجل جداً ولا أظنها قاتلة بدم بارد.. فلنحاول إثبات براءتها أو إنقاذها من حبل المشنقة.. تلك رغبة زوجها).

❊ ❊ ❊

كانت نوران زوجة منير منفعلة لأبعد الحدود لكونه قبل الوصاية على فريد فقد كانت تريد العودة لأوروبا وتكرة العزبة كثيراً ولا تحب عادل وتراه شؤماً على جميع أقاربه الذين دفنوا بمقبرة العزبة بسبب خطته الغبية ونجا منهم شاب مقعد شارد عن الحياة لا ينبس ببنت شفة أبدا؛ لكن منير استطاع امتصاص

غضبها بعدما ذكرها بأن يديه اللتين أصيبتا بالرعشة ولم تعودا تمكنانه من الإمساك بمشرط الجراح لن تستطيع توفير الحياة المرفهة لهم بعد الآن وأن كرم عادل حساب واستضافته الكريمة لهم يوفران لهم مستوى معيشيًّا مرفّهً وأقلّ ما يردّ له الجميل به هو رعاية ابنه الوحيد الذي أودعت أمه في السجن ورقد أبوه على فراش المرض وهو يتجاوز الستين من العمر؛ كان منير يخفي حقيقة توقفه عن ممارسة الجراحة عن عادل لكي لا تهتز صورته أمامه ويصبح يحسن إليه بدلاً من استضافته كضيف عزيز يترك أعماله المهمة لمرافقته؛ فمنير لا يتقاضى من عادل أجراً أبداً مقابل خدماته

الطبية فهو الجراح الشهير كما كان عادل العالم الشهير؛ لكن ذلك لم يكن السر الوحيد الذي أخفاه منير عن عادل فمن الأسرار التي أخفاها منير عن عادل وعن الجميع حتى زوجته؛ ديون القمار التي تراكمت عليه وجعلته يغادر أوروبا مصطحباً أولاده هرباً من الدائنين بعد أن باع كلّ شيء يمتلكه ولم يعد لديه ما يسدد به ديونه.

شعر عادل حساب أن تلك هى معركته الأخيرة مع المرض وأنه سيرفع الراية البيضاء معلناً انتصار الآلام عليه؛ فقد كان جسده متهالكاً كروحه ونفسه اللتين تهالكتا في العشر سنوات الأخيرة فقد تحولت حياته من الوصول إلى قمة هرم النجاح العالمي إلى كومة من الفشل المتراكم؛ عاد إلى وطنه ليحاول النهوض به والتخلص من سرقة الولايات المتحدة لكل العقول النابغة وتجريف دول العالم من العباقرة والكفاءات؛ فحاولوا اغتياله وأصبح ميّتاً في عيون الجميع ليحافظ على حياته ؛ حاول التقريب بين أبناء إخوته المتنافرين وقَبِل الرقاد في غيبوبة مصطنعة ليعطيهم فرصة للتقارب فانتهى الأمر

بمأساة مروعة وقتلوا جميعاً بسبب الثروة وكأنها الماس الذي يغرق الأفارقة في الحروب والقتل بسبب

اكتشافه في أرضهم وكان ياسر الناجي الوحيد فيهم هو التجسد الدائم أمامه ليجدد شعوره اليومي بالذنب؛ وحتى عندما حاول عادل أن يعيش حياة طبيعية ويتزوج وينجب انتهى الأمر بابن مشكوك في نسبه وزوجة تنتظر حكماً بالإعدام أو السجن المؤبد على أقل تقدير (لقد أصابني قدر إبليس؛ سقطت من أعلى قمم البركة.. إلى أسفل درك في اللعنة) قالها عادل لنفسه بصوت مرتفع ثم أغمض جفنيه متمنيّاً الموت.

دخل منير حجرة العناية المركزة التي رقد بها عادل فتذكر الأيام التي كان يرقد فيها الرجل مدعيًّا الغيبوبة و التي تسبب في موت عائلته بأكملها؛ جلس منير في هدوء بجوار عادل الذي أفاق بعد عدة دقائق و قال (ماذا فعلت في تحليل البصمة الوراثية؟) اِحمّر وجه منير الذي تذكر الأمر الذي طلب منه عادل إنجازه على عجل فقد اطلع عادل على نشرة أهم الأحداث العلمية في عام خمسة وثمانين رغم رقاده في

الفـراش و كانـت المفاجـأة هـى اكتشـاف د. "آليـك جيفريـز" للبصـمة الوراثيـة والـذي أثبـت كفاءتـه وأصـبح معترفـاً بـه في ذلـك العـام وطلـب مـن منير إجـراء تحليـل للتأكـد مـن أبوتـه لفريـد؛ فالرجـل رغـم كـل مـا حـدث كان شـبه متأكـد مـن أن الصبي النابغ مثله ولده.. فبرغم شبهه لأمه إلا أن له نفس عيني وحـاجبي عـادل الـذي طالما كان يقـول للصبي (أريـدك أن تقـول دائماً في أرجاء المكان أنا فريد عـادل حسـاب) لكنه كان يريد أن يمنـع الشـك مـن التسـلل إلى نفسـه؛ أخـرج منير قـارورة سـائل حقـن ومزج بها سـائل آخـر عـن طرق حقنـة ثم سحبهم بـداخلها وتوجّـه لعـادل مبتسـماً وهـو يضيـف مكونـات الحقنـة إلى سـائل الجلوكـوز المثبـت بجـواره ومتصـل بجسـد عـادل بـإبرة في وريـد ذراعـه فقـال عـادل (المزيـد مـن الأدويـة) ابتسـم منير بحسـرة ثـم قال جملة جمدت جسد عادل (لا مزيد.. هذا هو دواؤك الأخير) أخـرج منير مـن جيبـه سـيجاراً ثـم أزال أحـد أطرافـه بـالمقص المخصـص لـذلك ووضـعه بفـم عـادل المنـدهش وأشـعله لـه ثـم قال (تستطيع أن تفرح لأن التدخين لم يقتلك.. ففي النهاية أنا الذي قمت بهذه المهمة) بدأ عادل يشعر بوجع يسري في جسده

واتسعت حدقتاه إلى حد كبير من الألم الممتزج بالصدمة والمفاجأة وسقط السيجار من شفتيه فقام منير مسرعاً وأطفأه (الموت حرقاً كان من نصيب بقية العائلة.. لكن لك قدر آخر.. لا تندهش.. فبعدما أنهي حواري الأخير معك ستدرك كلّ شيء.. سأخبرك بكلّ شيء فأنا أحتاج منك إيصال رسالة للعالم الآخر بعد رحيلك) يقول عادل بصعوبة (لماذا؟) فيرد منير ببرود بعد أن يطلق تنهيدة طويلة (لا تحاول الحديث فملح كلوريد البوتاسيوم يقتل في عشرين ثانية.. لكنني أضفت إليه عقاراً يبطيء مفعوله ليمنحنا دقائق الحوار الأخير ويسرع من اختفائه بالدم.. فهو يختفي خلال ثمانية وأربعين ساعة.. لا تتعجب أنا عبقري مثلك يا أخي.. أنت أخي نصف الشقيق.. أبوك التاجر الثري كان يعاشر أمي ابنة عمته الفقيرة؛ أتدرك حجم الخسة في أن يجعل رجل ابنة عمته تعاشره بدلا من مساعدتها؛ لكن خسة أبيك لم تتوقف عن هذا الحدّ فقد زوجها بأحد مستخدميه بعد أن حملت منه وأخفت عنه الأمر لعدة شهور لكي لا ينسب الطفل له خوفا من غضب زوجته وأبنائه.. كان مستخدمه سعيداً بالزواج المجاني والعطاء السخي مقابل إدراج

الوليد بإسمه في السجلات.. أتعرف.. أنا ذلك الوليد) يسعل عادل بشده فيقوم منير ويناوله كوباً من الماء ثم يواصل حديثه (لقد كانت عطايا أبيك.. أقصد أبينا سخية للرجل.. جعلتني ألتحق بكلية الطب.. لكن اكتشافي الصادم وأنا في الأربعين من العمر أن الرجل الذي منحني اسمه ليس أبي كان محزناً للغاية ففصيلة دمه يستحيل أن تجعله أباً لشخص له فصيلة دمي.. أتتخيل كيف يمكن أن يكون شعورك حين توبخ أمك العجوز وتتهمها بعدم الشرف لكونك ابن رجل آخر غير أبيك.. فتصارحك أن أبيك هو ابن عمتها الذي رفض أن يمنحك اسمه.. لطالما أردت الانتقام منذ ذلك الأب الغادر.. لكنه كان قد رحل منذ أمد طويل ورحل كل أبنائه إلا أنت أيها العالم العالمي.. لقد وطدت صداقتي بك بعد أن اكتشفت كونك أخي.. أتعرف أنني شعرت بالسعادة فقد علمت أننا ورثنا جينات العبقرية من الأب.. لكنها عبقرية مصحوبة بشرور كبيرة).يتوقف منير عن الحديث لكون عادل صمت وأغلق عينيه فاتجه إليه مسرعاً لتفقد نبضه ففاجأه عادل بفتح عينيه وبصق في وجهه؛ كان هذا قمة ما استطاعت قوى عادل التي

تخور على فعله؛ مسح منير البصقة من وجهه بمنديل ورقي فقال له عادل بصعوبة (أنت من قتلت عائلتي) فأجابه منير وهو يبتسم (لقد منحتني الفرصة بخطتك الفاشلة للتقريب بينهم.. كل ما فعلت أنني تركت كل شيء يحدث كما يتجاهل النظام العالمي ما يجري بالدول المتحاربة و يغض الطرف عنهم.. ألم أقل لك أن من يقتل في الحروب هو النظام العالمي.. لقد كنت أتجاهل غياب الشخص تلو الآخر وأرضى بالحجج الواهية التي يقولونها لي.. فقد علمت أن خطتك أودت بهم إلى التناحر وسيقضون على بعضهم لا محالة) تنهد عادل بعد أن شعر براحة الضمير تسري في جسده و تنسيه السم الذي يسري فيه لقد كان عقله الباطن يصور له أنه سبب موتهم وأخيراً اكتشف القاتل الحقيقي لعائلته.. تعجب منير من تعبير السعادة الذي ارتسم على وجه عادل فقطب منير حاجبيه وقال له (كانت وفية إحدى رفيقاتي.. يبدو أنني زير نساء كأبينا.. وأنا من أدخلتها مجال التمريض وجعلتك تدرجها في وصيتك كترضية مني لها بعد أن ألحت عليّ طالبة الزواج مني.. كنت أتخلص منها فكانت سبباً للتخلص منكم.. لقد

أشفى غليلي القضاء على ذرية أبي المعترف بها.. لم يكن يبقى سواك أنت وياسر العاجز وكلاكما بلا أبناء فتركتكما تعيشان إلى جوار قبور من ظننت أنك قتلتهم لتلحق بهم في النهاية.. لكنك لم تمت وتزوجت وأنجبت.. وأنا طاردتني أشباح أقربائك الراحلين التي لم تطاردك.. لقد كانت الكوابيس تطاردني.. ولم تنجح الخمر إلا في منحي المزيد من العادات السيئة فقضى القمار على ثروتي واحتجت ثروتك) أغمض عادل عينيه في ألم بعدما تخيل ما حدث بعد ذلك فكان سهلاً على منير طبيبه أن يدسّ له شيئاً يجعله يصاب بالدوار ثم يدسّ تحليلاً لشخص فقد القدرة على الإنجاب مكان تحليل عادل و هو يجري له الكشف الطبي الكامل ويتظاهر بالبراءة والتشكيك في التحليل ليحاول عادل التأكد بنفسه ويكتشف أن هناك شك في كون فريد ابنه؛ وكان من السهل عليه كطبيب معالج أن يضع زجاجة عقار الديجوكسين في يد زوجته أثناء مرضها لإلصاق تهمة قتل وفيق وكريم بها وها هو الآن يقتله في برود بلا أي دليل ليضيف جريمة كاملة أخرى إلى سلسلة جرائمه ويستولي على كل شيء حتى الوصاية على ابنه تغضب تلك الفكرة عادل

الراقد في لحظاته الأخيرة فيقول بصعوبة (قد تخدع عيناك عقلك.. لكن قلبك يظل مليئاً بالريبة.. تجاه ألاعيب الساحر) يتعجب منير من الجملة فيواصل عادل حديثه بصعوبة وهو يشعر بالموت يسري في عروقه (لقد كنت خير صديق لي لكن قلبي لم يطمئن لك بالكامل أبدا.. كنت أشعر بالريبة تجاهك دائماً ولا أدري السبب.. لذا فقد أخفيت عنك سرًّا واحداً.. أظنه أهم الأسرار بالنسبة لك الآن.. صدقني لم أكن أدري سبب إخفائي الأمر عنك.. إلا عندما فاجئني العميد علاء بتلك الجملة عن ألاعيب الساحر.. فقد كان الرجل يشك فيّ.. و يشعر بالريبة تجاهي دون سبب.. كما أشعر أنا بالريبة تجاهك دون سبب) يظهر الانفعال على وجه منير و يقول بحنق و استهزاء (أيّ سرٍّ تعني؟) يبتسم عادل بصعوبة ثم يطلق ضحكة ساخرة واهنة الصوت كجسده ويلفظ أنفاسه الأخيرة؛ يتأمل منير وجه عادل الذي فارق الحياة وحقد كبير يطغى على ملامحه وعيناه وصوته ويقول له بانعدام رحمة كبير (أبلغ أبينا أنّ ابنه غير الشرعي قضى على ذريته التي اعترف بها.. سأترك ياسر يكمل حياته عاجزاً حتى يتعفن وبالنسبة لابنك فريد..

فسأجعله يشعر بنفس ما شعرت به.. فسأحرص أن يظلّ يوقن أنه ابن غير شرعي).

❊ ❊ ❊

استخرج منير تصريح الدفن في هدوء فالرجل عجوز مريض وقام بدفن عادل في المقبرة الخاوية التي بناها لنفسه بجوار مقابر أهله وأتباعه الراحلين؛ لكن العميد علاء أراد تشريح جثته كما ظن منير أنه سيفعل فاستصدر أمراً باستخراجها وتشريحها باحثاً في دمه عن سم قفاز الثعلب الموجود في عقار الديجوكسين كعازف البيانو وفيق وكريم زوج نانسي؛ كان كل ما يحتاجه منير هو يومين على الأكثر ليختفي أثر ملح كلوريد البوتاسيوم من دماء عادل وقد حصل عليهما وزيادة؛ وبالطبع لم يكن في دماء عادل أي أثر لقفاز الثعلب وأعيدت جثة عادل إلى المقبرة مرة أخرى بعد أن تم تشريحها وجاءت النتيجة كون الوفاة طبيعية ولم تظهر أي آثار لملح كلوريد البوتاسيوم الذي أنهى حياة عادل حساب؛ ظن منير أن خطته العبقرية نجحت وانتقامه من والده المتنصل منه بقتل ذريته تم على أكمل وجه؛ وأن ثروة عادل الطائلة هى مكافأة نهاية الانتقام له وبها ستتم تصفية الحسابات القديمة؛ لكن ذلك لم يحدث وتم تصفية الحسابات القديمة بشكل مختلف تماماً.

انشغلت المحامية فريال مع زوجها يوسف بمحاولة إثبات براءة صافي لكنهما فشلا لعدم وجود متهم آخر وكل ما استطاعوا فعله هو تشكيك القاضي الذي منحها حكماً بالسجن المؤبد بدلاً من الإعدام؛ مثّل منير الصدمة في قاعة المحكمة بشكل جعل فريال تتعاطف معه وبعدها بأيام التقت به في العزبة لتنهى إجراءات وصايته على فريد الصبي المدمر نفسيًّا بوفاة والده بعد إلقاء القبض على أمه بتهمة القتل (كيف حال الصبي؟) قالتها فريال لمنير وهما يجلسان في حجرة المكتب فظهر على ملامحه تعبير يفيد بانهيار فريد فتنهدت فريال وقالت (وصية المرحوم عادل عدم بيع هذه العزبة مطلقاً وأن تبقى دون تغيير فممنوع على الورثة قطع الأشجار أو بناء مبانٍ إضافية) حدق منير للحظات في وجه فريال ثم قال (شرط غريب.. لكنها رغبة الرجل ويجب احترامها) تنهدت فريال للمرة الثانية ثم استكملت حديثها قائلة (هناك مبلغ مودع على هيئة وديعة بأحد البنوك.. كنت أقوم بصرف ريعه الشهري والحصول على راتبي وأمنح السيد عادل ما تبقى من المال) تصمت فريال للحظة ثم تواصل حديثها (من الآن لن أحصل

على أتعابي وسأمنح حضرتك المبلغ كاملاً لتقوم بالإنفاق على فريد) يمثل منير التعاطف مع فريال وهو يقول (سنظل نحتاج لخدماتك دائماً.. و أظن أنه من الممكن أن يظل راتبك مستمراً و..) تقاطعه فريال قائلة (لا أظن أنكم تستطيعون استقطاع راتبي بعد الآن فالمبلغ لن يكفي سوى لدفع مصاريف دراسة فريد في مدرسته الدولية والإنفاق عليه) تظهر الدهشة على وجه منير ويقول (كيف هذا.. كم مبلغ الوديعة؟) ترد فريال (مئتا ألف جنيه تقريباً) تكاد عينا منير تجحظان من الدهشة وهو يقول (وأين بقية الثروة؟) ترد فريال و هى تهز رأسها في حيرة (لقد قام السيد عادل بسحب جميع أمواله من كل البنوك منذ ثلاثة أعوام.. وكل ما لديّ علم به هو الوديعة ذات العائد الشهري وإيرادات العزبة) تتسع حدقتا منير بعد أن أدرك السر الذي أخفاه عنه عادل حساب وكان سبب ضحكاته الساخرة وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة؛ لقد أخفى الرجل ثروته الطائلة ولم يخبره عن مكانها؛ فالريبة كانت موجودة في قلب الرجل رغم اتقان الساحر لألاعيبه.

فعل منير كل شيء محاولاً إيجاد الميراث المفقود بدءً من استجواب عم مصيلحي كبير الخدم إلى زيارة صافي في محبسها لكن بحثه لم يسفر عن أيّ شيء سوى عن معلومة تحويل عادل أمواله إلى سبائك ذهبية والتي أخبره بها العميد علاء قائلاً (لقد طلب مني الراحل أن أطلب من الرئاسة مساعدته على شراء كمية من الذهب بمبلغ يتجاوز السبعين مليون دولار.. والرئاسة وافقت على مساعدته وكلفتني بإتمام المهمة) يظهر التساؤل عن مكان الثروة الذهبية في عيني منير فيتابع علاء حديثه (ربما وضع الذهب في خزانة ضخمة بالفيلا فقد طلب استلامه هنا.. أظن الكمية تحتاج لحجرة واسعة.. ألم يذكر لك شيئاً عن الموضوع؟) يظهر على منير الاضطراب فيتعجب علاء ويقول (أليس من الغريب أن يأتمنك الرجل على ابنه الوحيد ويخفي عنك مكان ثروته؟!) يحاول منير تمالك أعصابه والبحث عن رد للحظة ويقول (ربما عاجله الموت قبل إخبارى) طأطأ العميد علاء برأسه فقد أقنعته إجابة منير الذي كان في موقف لا يحسد عليه؛ فهو لن يستطيع تسديد ديون القمار المتراكمة عليه وإيرادات العزبة مضافاً إليها إيراد

الوديعة لن يكفيا سوى للإنفاق على فريد وتعليمه وتوفير القليل من متطلبات حياته هو وأسرته؛ نبش منير الفيلا و جميع مباني العزبة مترامية الأطراف بحثاً عن خزانة تتسع لكمية الذهب المهولة ولم يجد أيّ شيء؛ و في النهاية يئس منير من إيجاد الميراث المفقود الذي لم يكن له أيّ أثر و لم يعلم مكانه أحد فقد أعطى عادل أجازة للجميع في تلك الأيام - وفقاً لشهادة عم مصيلحي - وبعث زوجته مع ابنهم لقضاء عطلة بأحد الشواطيء لم يكن بالعزبة معه إلا ياسر المقعد الذي كان في استراحة من رحلات العلاج؛ لكن ياسر ظل صامتاً شاردا كعادته ولم يجب على توسلات منير ولا حتى على إغراءاته بعلاجه في الخارج إن وجدوا الميراث المفقود؛ فتأكد منير أن عادل حساب أخفى مكان الثروة عن الجميع ؛ بقى لمنير أملٌ وحيد وهو أن يجد مذكرات عادل حساب فلابدّ أنه كتب فيها أي شيء ولو بأسلوب خفيّ يمكن ابنه فريد من إيجاد ميراثه وثروته الطائلة ولكن تلك المذكرات أختفت هى الأخرى كنقطة ماء سقطت في المحيط.

لم تستطع نوران النوم في حجرتهم الجديدة داخل الفيلا رغم كونها حجرة أكثر اتساعاً و فخامة؛ فجلست مشعلة سيجارة وبدأت في تدخينها بحنق زاده الكابوس الذي بدأت تظهر أعراضه في تمتمات منير الغير مفهومة كالمعتاد؛ أطفأت المرأة سيجارتها وأيقظت زوجها لتنقذه من كابوسه وقالت (إلى متى ستظلّ ترفض زيارة طبيب نفسيّ لتتخلص من هذه الكوابيس؟) حدق منير للحظات في سقف الحجرة ثم قال (أنا أكره هذا المكان.. بل هو المكان الوحيد في العالم الذي لا أرغب بالتواجد فيه.. ولولا الوصية الحمقاء بعدم بيعه ما بقيت فيه لثانية واحدة) تعقد نوران حاجبيها بضيق وتسأله (ألا يمكننا الانتقال وتأجيره ؟) يرد منير بسرعة مما يوضح أنه فكر بالأمر من قبل (وجودنا هنا يوفر علينا الكثير من النفقات لأن كل شيء موجود بالعزبة.. ولو وجدنا من يؤجر الفيلا في هذه المنطقة النائية فلن يكفي إيجارها سوى لإستئجار شقة صغيرة بالعاصمة).

الديون وانعدام الدخل جعلا منير محتجزاً داخل أسوار العزبة

بقرب جثمان عادل حساب الراقد بالمقبرة المشيدة على أطرافها وبقرب جثث جميع ضحاياه السابقين فتضاعفت الكوابيس الليّلة وبدأ يشعر بأشباحهم تجوب المكان حوله؛ ولم تكن معاقرة الخمور سوى وسيلة للاختباء من الأشباح ومنحه نوماً دون كوابيس في بعض الليالي؛ يبدو أن هذا العذاب النفسيّ كان وسيلة الأيام لتصفية الحسابات القديمة.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

العقاب الذهبي

(أنا فريد عادل حساب) قالها للمرة الألف منفذاً رغبة والده الأخيرة ثم أطلق رصاصة من بندقية الصيد أصاب بها طائراً أبيض فحوله إلى كتلة من الدماء الحمراء ؛ أصبح فريد في العشرين من العمر وأصبح الزمان على أعتاب الألفية الثالثة فنحن في بداية عام 1997 ويبدو أنه ورث منه عشقه لصيد الطيور كما ورث عبقريته؛ فقد كان فريد نابغاً في الدراسة والتحق بكلية الهندسة وتخصص بقسم هندسة الحاسبات المنشأ حديثاً؛ كان الذكاء الحاد يشع من عيني فريد الشاب الواسعتين اللتين يجذبان الانتباه لهما عن وجهه المكتسي بحزن عميق؛ لحقت به هاجر ابنة منير الصغرى رغم كونها تكره الصيد و تكره كونه يحب الصيد؛ لكنها كانت تحب فريد وكان يبادلها نفس المشاعر فهى رقيقة وجميلة إلى أبعد الحدود ومشاركتها له لأيام طفولته الحزينة خلقت رابطاً قويًّا بينهم خاصة بعد سفر شقيقها الأكبر سامي لدولة أوروبية لحصوله على منحة دراسية لتحضير رسالة الماجيستير في الطب النفسي بسبب تفوقه وعلاقات والده الجراح العالمي المعتزل (أيمكن أن تكتفي بهذا العدد من الضحايا اليوم؟) قالتها هاجر بسخرية

خفيفة الظل محاولة إنهاء حالة إطلاق النار وتساقط الطيور الجريحة حولها فابتسم فريد وقال (لم أصل للكم المطلوب بعد؛ لقد وعدت عم مصيلحي أن يكون الغداء مما أصطاده فقط) تضحك هاجر وتقول بوداعة (إذن فسناكل الطلقات الممتزجة ببقايا لحوم الطيور) يضحكان سويّاً فيفاجئان بصوت أنثوي منبعث من أطراف الأشجار باتجاه الطريق الرملي المحيط بالعزبة يقول بالإنجليزية (أتمنى ألا تصطادوا طيوراً نادرة أو مهددة بالانقراض) يلتفت فريد وهاجر إلى مصدر الصوت فيجدان امرأة أجنبية تبدو في نهاية الثلاثين أو بداية الأربعين من العمر تجلس في سيارة دفع رباعي مكشوفة وبجوارها سائق شديد السمرة فيجيبها فريد بالإنجليزية (نصطاد الحمائم فقط) تتأمل المرأة ملامح فريد ثم تقول (الحمد لله أن هناك من يفهم الإنجليزية في هذه الصحراء).

جلس منير حول مائدة الطعام يتفقد الضيفة الأجنبية التي دعاها فريد و هاجر لتناول الغداء معهم؛ و تحولت نظرات منير زير النساء العجوز إلى الإعجاب بعدما لمح إعجاباً في عين

" أنجيلا " الباحثة الأمريكية في الطيور النادرة كما عرفت نفسها (و ما هي الطيور النادرة المتواجدة بالمنطقة) قالها منير بأسلوب جعل زوجته نوران ترمقه بنظرة نارية سرعان ما أخفتها كي لا يلاحظ غيرتها أيٌّ من الجالسين (golden Eagle)

قالتها أنجيلا فترجمها منير للعربية و قال بتفخيم (النسر الذهبي) هنا يقاطعه فريد قائلاً (أظنّ اسمه بالعربية.. العقاب الذهبي و ليس النسر الذهبي) تتجمد ملامح منير لدى سماعه لفظ العقاب الذهبي فما هو فيه منذ قرابة العشر سنوات ما هو إلا عقابٌ ذهبيٌّ بعدما حول عادل حساب ثروته لأطنان من الذهب و أخفاها عن

الجميع فالتصق منير بجوار جثث ضحاياه في العزبة مربياً ولده الوحيد؛ لكنّ الشرّ والكراهية الكامنين في نفس منير لم يمنعانه من إشعار فريد منذ طفولته بأنه ابن غير شرعيٍّ لوالده بإسلوب شيطانيّ غير مباشر فقد كان يكفي أن تكون ردود منير على أسئلة فريد محيرة أو تبعث الشك في نفسه؛ انتهى الغداء و بدأ الجميع يغادرون طاولة الطعام التي ظلت مليئة بجثث

الطيـور التي اصـطادها فريـد بينمـا تنـاول الجميـع المـأكولات الأخرى؛ انتبه منير الغارق في شروده إلى انصراف الجميع واحداً تلو الآخر فرمق جسد أنجيلا المبتعد باشتهاء كبير ضاعفه نظرة الاستحسـان في عينيها و هنا قـرر منير أن تبقى تلك الأمريكيـة الحسـناء في ضـيافتهم لتواصـل أبحاثهـا حـول الطيـور النـادرة ويواصل مغامراته كزير نساء بعد فترة طويلة من الاعتزال.

❊ ❊ ❊

فريد وهاجر لم يستطيعا مقاومة إغراء مرافقة أنجيلا في رحلاتها البحثيه خلف العقاب الذهبي؛ كانت فرصة للعاشقين للخروج سويّاً من أسوار العزبة و الهروب من أعين الجميع وفرصة لخوض تجربة جديدة مع باحثة متخصصة؛ و رغم فارق السن الكبير بين أنجيلا و فريد إلا أن الغيرة كانت تتسلل لنفس هاجر من أنوثتها المتفجرة؛ لكنّ القبلة الأولى التي تبادلها فريد مع هاجر في إحدى رحلات البحث عن العقاب الذهبي أنست الشابين كلّ شيء حتى وجود أنجيلا و سائقها نوبي الأصل " عامر " معهما (إذن فالشرقيون يعرفون القبلات دون زواج) قالتها أنجيلا بالعربية فتحول الحرج على ملامح فريد وهاجر من رؤيتهما يقبلان بعضهما إلى الدهشة لإتقانها العربية (إذن.. فأنتِ تتحدثين العربية وتمثلين علينا عدم فهمها) قالها فريد محاولاً تحويل الحرج في اتجاه روكسنا التي ردت عليه بثقة (كان لابدّ أن أراكم تتصرفون بطبيعتكم وتتحدثون عني بحرية قبل أن أثق بكم يا عزيزي.. ففي النهاية أنا غريبة عن تلك الأنحاء.. رغم كوني أشعر بالانتماء للمكان) تبادل فريد نظرة طويلة مع أنجيلا فقد أحس بعمق تفكيرها ورجاحة

عقلها فشعر من نظرتها أنها تكن له مشاعر قوية لكنّ الغريب أنها كانت مشاعراً بريئة و مجردة من فكرة الجنس والجسد وكأنها تعامله كأم له (أتنويان الزواج؟) قالتها أنجيلا لفريد وهما يجلسان بجوار المسبح ومنطقة الشاليهات حيث تقيم أنجيلا بعد تناول طعام العشاء؛ لم يفكر فريد في الإجابة كل ما فعله هو الإيماء برأسه بالإيجاب مع ابتسامة تكسو وجهه لكنها سرعان ما اختفت وغزت ملامح الشرود وجهه فسألته أنجيلا (لماذا ألمح حزناً دفيناً في عينيك و أشعر بطاقة الغضب بداخلك.. إنك شاب مرفه ووسيم وناجح في دراستك وتنتسب لأسرة عريقة ووالدك كان..) يقاطعها فريد وكأنه يحدث نفسه (عالماً عالميًّا وحائز على أكبر الجوائز.. ترى أكل سكان الكوكب متأكدون أنهم أبناء الرجال الذين ينسبون إليهم؟) تقع جملة فريد على أنجيلا كالصاعقة فقد عنتْ لها بما لا يدع مجالاً للشك أنه يدرك كونه ليس ابن والده رغم كونه لم يصرح بهذا فحاولت أن تتأكد من المعنى الذي وصل إليها بسؤال مباشر وقالت (أتشك أنك..) ينظر لها فريد فتتوقف عن الحديث و لا تكمل الجملة فيقول (أمي في السجن.. يقال أنها قتلت

عشيقها) تقطّب أنجيلا حاجبها وتقول (أوليس الإعدام عقوبة القتل لديكم.. كيف لم تُعدم بعدما قتلت شخصين؟!) يصمت فريد ثم يهز فريد كتفيه قائلاً (المحامي الجيد.. معظم أسباب براءة البريء.. وكلّ أسباب براءة المذنب) تبتسم أنجيلا من إجابة فريد للحظة ثم تنتابها فكرة تجعلها تقطب حاجبها مرة أخرى وتقول (مالي أشعر أنك تثق في إدانة أمك؟) يمط فريد شفتيه ويقول (للأسف.. لا شيء أكيد.. حتى الحقائق العلمية المثبتة.. يجيئنا من يبرهن كذبها بعد عدة أعوام.. أتعلمين.. كنت أتمنى أن أكون متاكداً.. لكنني مجرد حبة رمل في صحراء الشك) تفرست أنجيلا في ملامح فريد قليلاً ثم قالت (عين الأم لا تستطيع إخفاء حقيقة كهذه عن ولدها أبداً.. فالكذب في أمر كهذا على أبنائك أكبر من الجرائم نفسها) أثارت جملة أنجيلا بريقاً في نفس فريد في الوقت الذي كانت عينا منير تتابع أنجيلا و فريد من التراس العلوي في سكون فالقناص المعتزل ينتظر فرصته مع الطريدة و لا يجدها منذ خطت قدماها المكان؛ كما كان اقتراب أنجيلا الفاتنة من فريد مقلقاً لمنير فحب فريد لابنته هاجر صمام الأمان لاستمرار نمط حياة

منير و عائلته كما هو فالوريث سيتزوج الابنة و يظل منير الوصي السابق يعيش معه كوالد زوجته؛ ظلّ منير يحدق في أنجيلا من بعد محاولاً في طريقة الوصول إليها في هدوء دون أن يشعر به أحد و خاصة زوجته نوران.. وبعد لحظات كان زير النساء وصل إلى الخطة.

❊ ❊ ❊

اِمتنّ عامر سائق أنجيلا النوبي لاعتناء الطبيب منير به بنفسه عندما شعر بالمرض يهاجمه في الصباح و يلزمه الفراش؛ لم يكن يعرف أن كوب الشاي الذي احتساه في المساء بعد أن أضافت إليه يد منير حبة صغيرة كان في الأصل سبب مرضه المفاجيء؛ لم يبذل منير مجهوداً كبيراً ليحتلّ مكان السائق في رحلة أنجيلا البحثية عن العقاب الذهبي و فور أن علم فريد وهاجر بهذا فضّلا عدم مرافقتهم ليهربا من رقابته عليهم طوال الرحلة فكانت فرصة منير للاختلاء بأنجيلا بعد أن دعى زوجته نوران لمرافقتهم لتغيير الأجواء واعتذرت بكبرياء لتثبت له أنها لا تغار من الضيفة الأجنبية (أتظنني عاهرة؟!) قالتها أنجيلا بغضب عندما مد منير ذراعه و وضعها خلف ظهرها ثم حاول تقبيل خدها بعد ابتعادهم عن العزبة (بالطبع لا.. لكنني لا أستطيع مقاومة مثل هذا الجمال الأخاذ) قالها منير بحنكة و إغواء زير النساء فصمتت أنجيلا للحظة و هى تتأمل ملامح منير ونظراته ثم قالت (لقد اصطحبتني الآن من أجل العمل) أحس منير بمرارة الرفض لكنها عاجلته بجملة بخرت ذلك الإحساس (في المساء يمكننا التفكير بالأشياء الأخرى.. في حجرتي ليس في

الصحراء أيها الهمجي) في تلك الليلة لم يعرف منير أكان الخمر هو سبب سكره الشديد أم رقاده في أحضان تلك المرأة متفجرة الأنوثة.

استيقظ منير في الساعات الأولى من الصباح ليجد نفسه ما زال في حجرة أنجيلا التي وقفت تحضر حقيبتها و رمقته بنظرة تَذكر بها أن النعاس غافله دون أن يحدث بينهم شيئاً فقد أسرفا في احتساء الخمر كثيراً و ظلا يتبادلان أطراف الحديث لساعات طويلة فشعر بالحسرة (لماذا تحضرين حقيبتك.. أتنوين الرحيل؟) قالها منير بخوف شديد من فقدان تلك الأنثى التي كان على أعتاب جنتها فردت عليه بحنو (أنا مضطرة للسفر لعدة أيام فقط.. و أعدك أن أعود قريباً) يقول منير بأسلوب استعطاف طفوليّ (ألا يمكن تاجيلها؟!) تنظر له نظرة تعني عدم قدرتها على تأجيل سفرها ثم تقول بدلال أنثوي (لا تقلق لن أفوت فرصة اختبار العلاقة مع زير نساء كبير مثلك.. و لكن دعني الآن أودع الجميع قبل رحيلي و حاول ألا يلحظ أحد خروجك من هنا).

كادت هاجر تنفجر غضبا من طريقة وداع أنجيلا لفريد فقد عانقته ثم مررت أصابعها في رأسه بطريقة استفزت مشاعر الشابة العاشقة؛ لكن كونها على وشك الرحيل هدأ من روع الشابة قليلاً حتى رحلت أنجيلا مع سائقها عامر؛ لكنها سرعان ما انفجرت في وجه فريد فور أن ابتعدا عن عيون الجميع واتهمته أن هناك شيئاً بينه و بين أنجيلا فهدأها بصعوبة و حاول إقناعها أن تلك طباع أصحاب الثقافة الغربية دون جدوى و دخلا في حالة من الخصام والصمت؛ أما نوران فقد حاولت إقناع نفسها بمبررات منير الواهية لغيابة منذ العاشرة مساء و عدم عودته لفراشه لكنها بدأت تشعر بالخطر من الضيفة الأجنبية خاصة بعدما علمت أنها ستعود مرة أخرى؛ لكن اتصال سامي من أوروبا الذي أخبرهم فيه بموعد وصوله أنساها تلك الليلة و انشغلت مع عم مصيلحي في تجهيز جميع متطلبات أصناف الطعام التي يحبها ولدها سامي الذي طالت غيبته عنها رغم أنه سيحضر بعد عدة أسابيع؛ أما منير فقد حاول العيش مع ذكرى تلك الليلة التي أعادت دماء الشباب إلى

عروقه وانتظر عودة أنجيلا بفارغ الصبر ففي النهاية هو لم يقتطف بعد خيرات تلك الفاتنة الأمريكية .

❊ ❊ ❊

(كيف كانت أمي يا عم مصيلحي؟) قالها فريد للرجل الذي كان يعتبره إبناً له ولكنه يعامله كملك متوجٍ منذ صغره (كان إنسانة بكل معاني الكلمة.. أتعرف أنها لم تنهرني يوماً لشيء قصرت فيه.. لم تعاملني كخادم أبداً) يصمت فريد قليلاً ويهم بقول شيء لكنه يتراجع عنه ولا ينطق سوى كلمة (أتظنها..) فيقول مصيلحي بسرعة (أقسم لك يا ولدي.. شهادة يحاسبني الله عليها.. أني لم أرَ من أمكَ إلا كلّ آيات الشرف والإخلاص لأبيك.. أياك وتلك الشكوك.. لا أدري ما الذي يجعلها تتردد في عقلك) تظهر الإجابة في ملامح فريد فأمه في السجن مدانة بقتل عشيقها ورغم أنها إجابة بتعبيرات الوجه إلا أن مصيلحي قرأها وأجاب قائلاً (كم من مظلوم يرقد في ظلام السجن) تثلج صدر فريد إجابات مصيلحي وثقته في براءة أمه صافي فيقول فريد (أظن الوقت حان لزيارتها.. لقد قصرت معها لأعوام طويلة.. لكن اشتياقي إليها أصبح بلا حدود) يقبل عم مصيلحي وجنتا فريد ويقوم بحماس شديد ويقول (أنت تستحق كوبين من الشاي وأكواز ذرة مشوية على الفحم على هذا القرار).

يتعجب منير من قرار فريد المفاجيء بزيارة والدته لكنه لا يمانع ولا يبدي رأياً في الموضوع ففريد لم يطلب من قبل رؤية والدته السجينة؛ كان يدينها ويشعر أن أكبر جرائمها كونه ابناً غير شرعيٍ لوالده؛ لكنّ حواره مع أنجيلا جعله يرغب أن ينظر في عيني أمه ويتأكد بنفسه من براءتها أو إدانتها؛ كان يعلم أن قلبه سيخبره بالحقيقة؛ لكنه ذهب حزيناً لرفض هاجر مرافقته أو حتى الحديث معه ومواصلتها الخصام في حدث كهذا ؛ كانت عنيدة جداً - كعادة الكثير من المراهقات - رغم كونها بكت لساعات طويلة بعد رحيله ندماً على عدم الذهاب معه لرؤية أمه التي لم يلتقِ بها منذ أعوام طويلة؛ أما نوران فقد عرضت الذهاب مع فريد لكنها تراجعت لشعورها بالحرج فهى الأخرى لم تقم بزيارتها منذ عدة أعوام؛ كان عم مصيلحي هو الوحيد الحريص على زيارتها طوال تلك الأعوام واصطحبا معهما ابن العم ياسر المقعد الذي يعيش بين جدران حجرته منذ أعوام طويلة ظنا منهما أن مغادرة أسوار العزبة ستكون تسرية كبيرة عنه حتى وإن كان خروجه لزيارة السجن.

شعرت صافي بالفرحة للمرة الأولى منذ دخولها السجن.. وبكت بحرارة في عناق وحيدها فريد كانت كلما عاتبته على الغياب قبلته وبللت وجنتيه وصدره بدموعها وقالت (المهم أنك أتيت اليوم.. لقد رددت لي روحي يا ولدي) كان فريد في عالم من الحنان الذي افتقده منذ زمن بعيد؛ كان قبل مجيئه يفكر في توجيه سؤال مباشر لأمه هل قتلت هؤلاء الرجال أم لا ليرى رد عينيها لكنه أدرك مدى قسوة مجرد تفكيره أن يفعل هذا في أمه الكائن الملائكي الذي يذبل في السجن منذ أعوام؛ لم يكن يتخيل أن تتغير ملامحها ويغمرها الشيب سريعاً هكذا لكن الهموم تفعل أكثر من هذا؛ جلس عم مصيلحي بجوار ياسر في أحد الأركان يمسح الدموع المنسابة من عينيه وسط هذا اللقاء المؤثر في نفسه؛ لكم سألت المرأة عن ولدها طوال الأعوام السابقة لكنّه كان يرفض حتى مجرد الحديث عنها حتى استطاعت أنجيلا أن تفجر فيه الرغبة في محاولة معرفة الحقيقة بنفسه؛ انصرف فريد في ذلك اليوم وبداخله شعور قويّ ببراءة أمه وسعادة كبيرة ليس لأنه رآها وتنعّم بحنانها وأطفأ نار حنينه إليها أو أراح ضميره تجاهها فقط بل لكونه

شعر للمرة الأولى أنّ كونه ابنٍ غير شرعيٍّ أصبح أمراً غير مسلم به؛ على الأقل لدى نفسه؛ قرر فريد مكافأة عم مصيلحي وياسر في تلك الليلة وعدم العودة إلى العزبة فوراً فاصطحبهما في جولة بالقاهرة وارتادا مطعماً فاخراً و حضرا عرضاً مسرحيًّا شهيراً؛ كان تلك هى المرة الأولى التي تخطو أقدام عم مصيلحي إلى شيء كهذا فهو من الطبقة الفقيرة و لم يكن حتى يرتاد السينما؛ والمرة الأولى التي يتسلل السرور فيها إلى نفس ياسر الذي كان مبهوراً كعم مصيلحي؛ بينما كان فريد في قمة السعادة لإسعاد عم مصيلحي الذي طالما كان مخلصاً في حبه وخدمته لوالديه وله وإذخال السرور على نفس ياسر الذي ملت الجدران من اكتئابه وصمته.

❊ ❊ ❊

وصل الشتاء إلى زروته وزاد معدل الامطار؛ رغم هذا عادت أنجيلا كما وعدت منير ؛ كان الجميع منشغلون بقرب قدوم سامي فلم يبق إلا يومين على موعد وصوله؛ أصرت أنجيلا على الخروج لتقفي أثر العقاب الذهبي في اليوم التالي لوصولها فقد كانت طبيعة الطيور تختلف في الجو البارد والأمطار وكانت تريد متابعة الطائر في تلك الظروف؛ تعجبت من اصطحاب فريد لها دون هاجر و علمت منه أن الشابة العاشقة غارت من طريقة توديعها له و أنهما متخاصمين منذ ذلك الحين فوعدته أن تحاول الإصلاح بينهما؛ فرفض فريد بشدة و طلب منها عدم التدخل فهو سيستطيع أن يصالح حبيبته في يوم غد وهما في الطريق لجلب شقيقها سامي من المطار مع والديها فالرحلة طويلة و يكفيه عدة دقائق بجوارها لتحن إليه و يعودان للحديث معاً؛ لكن فريد لم يستطع أن يرافق هاجر و والديها لجلب سامي من المطار فقد سقط وهو يحاول تسلق أحد الأشجار مع أنجيلا في هذا اليوم وأصيبت قدمه بجذع جعل التحرك بها صعب فبقى في العزبة ينتظر عودتهم؛ بعد أن واصلت هاجر خصامها له بل ورحلت غاضبة عندما طلب منها

البقاء معه هو وأنجيلا وقالت له (يكفيك عطف صديقتك الأمريكية). بل وتمادت بأن أحرجت أنجيلا التي رجتها بشدة أن تبقى معهم فهى لم ترها لعدة أيام ومضت لتركب السيارة مع والديها دون أن ترد عليها؛ كانت الشابة العاشقة تشعر بقوة أن نظرات أنجيلا و طريقة تعاملها مع فريد تخفيان شيئاً ما لم تجد تفسيراً له إلا أن هناك أمراً مريباً يحدث بينهم وأن العلاقة تتجاوز الصداقة بكثير.

❊ ❊ ❊

ساعتان مرتا على مضي منير و زوجته وابنته هاجر لجلب سامي من المطار؛ وبدأت الأمطار في الهطول بشدة فدخل فريد وأنجيلا الجالسين في الحديقة إلى الفيلا وجلسا بجوار المدفأة التي زودها عم مصيلحي بالحطب وناولهم منشفتين ليزيلا أثر الأمطار وأعد لهم مشروباً ساخناً وعاد ليواصل تحضير الطعام المعد لاستقبال سامي العائد من الخارج؛ فور ابتعاد عم مصيلحي قامت أنجيلا وأغلقت باب حجرة المكتب و ظرت لفريد نظرة لم يفهمها لكنه شعر بالقلق لفكرة راودته بحب أنجيلا له فقال (أنجيلا.. أنا أعتبرك أخت لي.. أنتِ تعرفين هذا.. أليس كذلك) جلست أنجيلا بجواره و احتضنته بحنان بالغ فاتسعت حدقتا الشاب و حاول بلع ريقه بصعوبه فمسحت بكفها رأسه وقالت (لا تعتبرني أختك.. أنا بالفعل أختك).

❊ ❊ ❊

الطريق من العزبة لوسط المدينة كان موحلاً جداً بسبب الأتربة التي امتزجت بالأمطار؛ كان منير يفتقد ابنه لكنه لم يستطع منع نفسه من التفكير في أنجيلا التي قدمت منذ يومين ولم يستطع الاختلاء بها بسبب متابعة نوران لكل خطواته منذ عادت أنجيلا؛ كما لم يستطع منع السيارة من الاصطدام بسيارة النقل التي خرجت من أحد الطرق الفرعية فكان مصير سيارة منير الغرق داخل مياة الترعة؛ كان صراخ نوران و هاجر سيد الموقف للحظات ثم ساد الصمت الموقف؛ قبل أن يلفظ منير أنفاسه الأخيرة رآي الجميع حوله عادل حساب وكريم زوج نانسي وعازف البيانو الذين رمقوه بنظرة نارية كالنيران التي كانت تأكل في جسد وفية ويشاهدها في برود لبنى وهشام وسوزانا ومحمود وعبير وفادي لبنى ومن أحد الأركان رآي ملاك وعبد الفتاح ومسعود وحامد يتجادلون مع عاطف المحامي ثم يسيرون بغضب ليدفعون جسد وفية المشتعل نحوه فيشعر منير بالنيران تأكل في جسده رغم كونه يغرق في المياه فانضمت نوران وابنته هاجر إلى جهة العم حساب ونظرتا له بحقد وظهر من بعيد خلف بوابة ضخمة مفتوحة

على مصراعيها والإضاءة مختلفة خلفها ياسر المقعد بجوار فريد ينظرون له بانتصار وتفاخر وبجوارهم أنجيلا وسامي ولده الوحيد واقف في حيرة من أمره بجوارهم وكأنهم يشاهدونه من عالم الأحياء وهو يرحل عنه الدنيا؛ وكان آخر ما لمحه منير في الواقع كان زوجته نوران وابنته هاجر وهنّ في غاية الذعر حتى فارقنّ الحياة بجواره فلفظ أنفاسه الأخيرة وهو في قمة جبل الحزن.

❊ ❊ ❊

وصلت الدهشة منتهاها على وجه فريد بعد أن حكت له أنجيلا كيف التقى والده بأمها عميلة المخابرات الأمريكية التي زرعت للسيطرة عليه وكانت تحت غطاء متدربة في معمله فأحبته وانجرفت معه في علاقة انتهت بحملها فأخفت الأمر عنه وعن رؤسائها وطلبت نقلها محتفظة بالحمل السري الذي نسبت نتاجه لأحد أصدقائها دون زواج؛ لكنها صارحت أنجيلا بالحقيقة عندما مرضت بالسرطان وأرادت التكفير عن كل ذنوبها ومنح ابنتها الوحيدة عائلة ونسباً لشخص عالمي الصيت وربما ثروة طائلة؛ وبعد وفاة والدتها لم تفكر أنجيلا كثيراً حتى اتخذت قرار القدوم إلى مصر بحجة دراسة الطيور النادرة بها ومحاولة تقصي أي معلومات عن أسرة أبيها لتحاول إثبات نسبها لوالدها الحقيقي العالم العالمي عادل حساب؛ لكنها فوجئت بأن ابنه يشك في نسبه لأبيه وأحسّت بالشك تجاه منير الذي ساعد على نمو فكرة الابن غير الشرعي لدى فريد خاصة بعدما تخلص من سائقها بحيلة ماكرة ليتقرب منها؛ فاستدرجته لجلسة سكر ودست له عقار سكوبولامين أو (نفس الشيطان) والذي جلبته معها - تحسباً لموقف كهذا أثناء رحلة

إثبات نسبها التي ظنتها ستكون صعبة بلا شك فتعلمت اللغة العربية بأحد المعاهد المتخصصة ثم اللهجة العامية المصرية وكأنها طبقت الحديث النبوي " من عرف لغة قوم أمن مكرهم" بفطرتها دون أن تعرفه وأخذت الكثير من التدابير كان منها (نفس الشيطان) - وهو عقار يجعل الشخص طيعاً وصريحاً إلى أبعد الحدود ويسبب فقدان جزئي للذاكرة للشخص عن الفترة التي تناوله فيها - وعلمت أنجيلا بحقيقة مشاعر منير تجاه عادل حساب وتجاه عائلته بل وسعادته لرحيلهم بهذا الشكل المأساوي لأنهم كانوا أناساً متغطرسين على حد قوله وأدركت أنه المدبر لكلّ ما حلّ بتلك العائلة من مصائب فقررت التأكد من نسب فريد ونسبها فأخذت شعرة منه عندما مثلت عناقه وتمرير أصابعها في رأسه عند وداعه وقامت بعمل تحليل البصمة الوراثية فكانت النتيجة أنها أخت فريد وبالتالي هو وهي أبناء عادل حساب فقررت الانتقام لأبيها وأفراد عائلته التي أتت لتنسب إليهم فوجدتهم ضحية سفاح قتلهم بدم بارد ولم يبق إلا رجل عاجز وشاب ضائع (لن يعود منير.. لا تقلق.. فالأمطار والطريق الموحل سببان كافيان لكي لا

يشك أحد في شيء.. وقد تولّى سائقي مهمة تخريب العربة بشكل محترف من المستحيل كشفه) قالتها أنجيلا لفريد الذي انتابه القلق من تأخر منير وعائلته فاتسعت حدقتاه وصرخ بها (إن هاجر معهم.. ماذا فعلتِ أيتها الحمقاء.. كان يمكنك الانتقام منه وحده) صفع فريد أنجيلا عدة مرات في فورة غضبه ثم انهار باكياً بين ذراعيها فقالت (لقد رجوتها أن تبقى.. سامحني لم أستطع ترك هذا الرجل على قيد الحياة.. وعائلته تستحق الموت كما فعل بعائلتنا).

❊ ❊ ❊

طال انتظار سامي لأسرته في المطار دون جدوى وانتابه قلق شديد فعم مصيلحي أخبره حينما أتصل بهاتف العزبة أنهم توجهوا لجلبه من المطار منذ عدة ساعات (لماذا لا يوجد هواتف محمولة في هذا البلد المتخلف) قالها سامي لنفسه ولم يكن يتخيل أن المحمول سيكون في يد أبسط الأشخاص بعد مرور أعوام قليلة؛ في النهاية استقل أحد سيارات الأجرة لتقله إلى العزبة فكان أول العارفين بالحادث فعند وصوله لمكانه كانت الشرطة نجحت في إخراج سيارتهم من الترعة ونقل جثث أهله إلى المشرحة لحين إبلاغ ذويهم؛ كانت صدمة الشاب مهولة عندما تعرف على أهله الراقدين في المشرحة فور عودته إلى وطنه؛ لكنه استطاع تمالك أعصابه بعد ساعة واتصل بعم مصيلحي ليبلغه الخبر.

انهار عم مصيلحي ومثلت أنجيلا الانهيار ببراعة أما فريد فقد كان انهياره مضاعفاً فاليوم علم أن من رباه قتل والده وقضى على عائلته واليوم ماتت حبيبة عمره وأمها وأبيها بيد أخته التي ظهرت له من العدم في نفس اليوم وبدلاً من أن يرحب بها

صفعها بلا رحمة لقتلها حبيبته واليوم علم أنه ابن شرعيٍّ لأبيه وتأكد من شعوره ببراءة أمه وأنها ملقاةٍ في غياهب السجن بلا جريمة ولا ذنب اقترفته يداها فلمَ تقتل أحداً إن كان ابن أبيه و ربما قتلهم منير أيضاً وألصق التهمة بها ؛ أيّ صواعق تلك التي ضربت كيان شاب لم يصل للحادية والعشرين بعد؛ لم يستطع فريد أن ينظر في عيني سامي الذي كان بمثابة أخيه الأكبر وارتمى بين ذراعيه باكياً فانهارا في البكاء للحظات أنهاها عم مصيلحي الذي عاد لتوه من إعداد المقابر.

(من سخرية القدر أنه سيدفن بجوار أبيك في نفس المقبرة.. على بعد أمتار قليلة من معظم ضحاياه) قالتها أنجيلا لفريد وهما في طريقهما إلى المقابر عند أطراف العزبة فانقلبت ملامحه إلى الغضب العارم وقال لها بصوت بذل مجهوداً كبيراً ليجعله منخفضاً (إياك أن أسمع صوتك المليء بالحقد مرة ثانية حتى أنتهي من دفن حبيبتي التي قمت بقتلها يا أختاه).

تم بحمد الله

خالد الشيباني

* شاعر وروائي ومؤلف سينمائي مصري من مواليد ١٩٧٩
* درس الإعلام وتخصص بالصحافة وعمل في العديد من الجرائد والمجلات المصرية والعربية ثم تفرغ للكتابات الأدبية والفنية .
* عضو إتحاد كتاب مصر .
* عضو جمعية المؤلفين والملحنين والناشرين العالمية - الساسم
* بفرنسا
* عضو جمعية المؤلفين المصرية - الساسيرو
*أول من جمع بين فنون الكتابة الفنية والأدبية الأربعة الشعر والرواية والأغنية والسيناريو .

تغنى العديد من المطربين بأغنيات بالعامية المصرية من تأليفه من أشهرها:

"شكرا ع الرسالة "جنات

"في ست إيام – عصفورة طايرة "بهاء سلطان

"حب من غير أمل " سوما

حاميها وحراميها " أبو الليف

"عيلين بيحلموا" مي كساب

"لون شعرك – تفاحة آدم" كريم أبو زيد

"مشيت في سكة – مش بعيد" أكمل رسلان

"قلبي حب" هيفاء وهبي

"من هنا ورايح" ليلى غفران

والكثير غيرها .

* كتب العديد من أشعار الأعمال الدرامية منها مسرحيات:

"أنا الرئيس" ؛ "سنو وايت"

ومسلسلات "حاميها وحراميها" ؛ "كلبش" ؛ "البارون"

وأفلام "حارة مزنوقة" ؛ "برد الشتا"

* ألف عددا من الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية منها فيلم "فوبيا "

الجوائز والتكريم

التكريم من جامعة عين شمس على مجمل أعماله الفنية والأدبية

حاز فيلمه القصير "دور شطرنج" على أكثر من جائزة في مونديال القاهرة للإذاعة والتلفزيون ومهرجان علوم الإعلام ومهرجان يوسف شاهين وشارك بالمسابقة الرسمية في مهرجان الأسكندرية السينمائي الدولي

حصل على جائزة شهادة التميز في الشعر من المهرجان القومي للمسرح عن أشعار مسرحية سنو وايت وهو أول شاعر يحصل على جائزة في الشعر من المهرجان في تاريخه .

صدر له

باق من الزمن حياتك (ديوان شعر) ٢٠٠٢

رحلة الليل وحكايات النها ر (ديوان شعر) ٢٠٠٤

مجلد "السينما حياتي" ٧ أفلام في كتاب ٢٠١٠

معاهدة سلام مع القمر (ديوان شعر) ٢٠١٢

عرشٌ لكل مواطن (ديوان شعر) ٢٠١٤

الوصية (أول روايات ثلاثية تركة العم حساب) ٢٠١٦

الحب والبارود (ديوان شعر) ٢٠١٧

بلا جدران (رواية) ٢٠١٧

ابن غير شرعي (ثان روايات ثلاثية تركة العم حساب) ٢٠١٨

الحرف السادس (رواية) ٢٠١٨

رحيل المجرة (ديوان شعر) ٢٠١٩

الميراث المفقود (ثالث روايات ثلاثية تركة العم حساب) ٢٠١٩

قيد الطبع

بديل عربي (رواية)

أرض اليورانيوم (رواية)

عشرون قصة حب (ديوان شعر)

دروب السماء - في عشق الله (ديوان شعر)

ألفية القدس (ألفية شعرية)

للتواصل مع الأديب المصري
خالد الشيباني

الموقع الرسمي :

www.shaibany.com

فيس بوك :

facebook.com/khaledshaibany

لترك رسائل و تعليقات :

khaled_alshaibany@hotmail.com

❊ ❊ ❊

ج ٠ م ٠ ع

(+٢) ٠١٥٥٣١٢٩٣٦٣

(+٢) ٠٣/ ٥٩٣٠٥٦٧

حسناء للنشر والتوزيع